

تفسير سورة الفتح لمحمد ابي السرور الصديقي

هو الفقير محمد سعيد ابن [illegible] عفي عنه

1

استصحبه الفقير سعيد [illegible]
عفي له

هو

ثم انتقل في ملك احقر العباد محمد سعيد
[illegible] زاده
عفي عنهما

[illegible] ١٢٠٥

ان ابهى درر نثرتها في ردان الطروس الاقلام
وازهر روض لا تغير نضرته الليالي والايام
واعذب مورد تصدر عنه الصد وروادية لما
لا تشكو البعد حر الاوام ● واعلى ذروة تسنم عليها
علم علام حمد الله الذي فتح لرسوله صلى الله
عليه وسلم فتحا مبينا به خلاص بيته الحرام ● وغفر له
ما اخذته على نفسه مما لو وقع من غيره لمحي به
نحو خطايا الاثام ● واتم عليه نعمته باتمام التكاليف
والاحكام وهداه الصراط المستقيم فلا زيغ عنه في ذلك
المقام للاقدام ● ونصره نصرا عزيزا اذ دخل به في طا
ئفة عظما الانام ● وانزل سكينته في قلوب المؤمنين
فزادهم ايمانا ببلوغ المرام ● ولا بدع فلله جنود السموات

والارض

والارض فقادر ان يأتي بنصره لرسوله صلى الله عليه وسلم
في ظلل من الغمام ● ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار مسبغا عليهم
خلع العناية والانعام ● ويعذب المنافقين
والمنافقات عذابا دائما ليس له نهاية ولا تمام ●
واشهد ان لا اله الا الله الذي ارسل رسوله صلى الله
عليه وسلم ليظهره على ساير الاديان بالحجة والصمصام
ويبين ما به السعادة والفوز في يوم القيام واشهد
ان سيدنا ومولانا محمدا من جعله الله لدائرة النبوة
الختام ● ونشر له من الحمد الالوية والاعلام ● وحمل له
بما عنده من علوم الاولين والآخرين الاعلام ●
وابطل من بيته الحرام الاستقسام بالازلام صلى الله
وسلم عليه صلاة وسلاما ما هب نسيم الاسحار ففتح
من الروض الكمام امين وبعد فان الامور
مرهونة باوقاتها ● والعناية الرحمانية اذا جاء زمنها

تبرز بذاتها وقد طال ما اجلت جواد الافكار في
ميدان الانظار سايلا من الله سبحانه ان يشرفني بشي من الكلام
على شي من سور الفرقان لعلي ان التحق باهذاب اهل هذا
من اهل العرفان فيسر الله تعالى لي حج بيته
الحرام ووصولي لتلك المشاعر العظام فاعملت
بعملات الابتهال وقد تمسكت من بيت الله تعالى بالاذيال
سايلا من الله تعالى بلوغ رتبة هذا الكمال هذا
واني من الكنانة الصديقية والعصابة التيمية
القرشية فلا بدع ان تصدر عنهم هذه الاسرار
وفي حق جدهم انزل الله سبحانه ثاني اثنين اذ هما في الغار
والحامل على الترحال من الاوطان وركوب تلك
السباسب بين اغصان المران ان اصرف الوجهة
نحو الارباب ان يبلغ سلطان الاسلام وخليفة الله
لكافة الانام الارب تحصل الاذن السبوحي
والوارد الروحي بان اتكلم بالمجالس العامة

في حرم الله امام بيت الله في تفسير سورة الفتح المبين فكانت
اشارة من الله سبحانه بنصرة سلطاننا امير المومنين
على الفئة الرافضة المضلين فلما انتشر بتلك
المحافل عقد البيان بما تقصر عن مداناته
الجمان احببت ان اودع تفسير هذه السورة
الشريفة بطون الطروس وان ازف من بنات
الافكار على منصات العقول من المعاني الشموس
خادما بذلك لخليفة الله على كافة خليقته
ومحبا للنظم نظام اوامر خير بريته امير المومنين
المعتصم بالله المهدي بنور الله فلا يعتريه
في امره اشتباه السلطان بن السلطان
والخاقان بن الخاقان ملك سبل القبلتين خادم
الحرمين الشريفين السلطان مراد خان ثاني عشر
الخواقين العظام من آل عثمان مد الله تعالى ظلال
خلافته الى انتهاء الزمان ولا برح الانام من معدلته

تنام في اكناف الامان ليعلي نفاق سوق الفضايل في زمانه
وازهار روض المعارف في اوانه لتكون نهضته
من هذا العبد بفتح نشرت في البسيطة بل في الملا
الاعلى راياته وتليت على منابر العالم اياته وطنت
في الممالك الكسروية حصاته وعمر في الانام
حصاته وليبقى على صفحات الزمان ذكره ويضوع
في العالم طيبه ونشره فان شكر هذه النعمة اوجب
واجب على ال الصديق وابناء ذلك الرفيق الرفيق
فقام من بينهم العبد محمد ابو السرور
بشكرها واطار بهذه المقدمة في العالم
طاير الحبور بجناح ذكرها راجيا من مقامه السلطاني
الشريف ان يكون لهذا العبد بقبولها العز
والتشريف فهي مع ما اشتملت عليه من الايات القرانية
كما يهدى به الى البحر الغمام او ضوء نبراس عند اشراق
البدر التمام سائلا العفو عما طغى به القلم

وما زل في تحريره من الفكر القدم وها انا اشرع
في المقصود كل من طلب شيا لا بد في توجه
النفس اليه من تصوره بوجه ما ثم اذا اراد التصور
التام يكون بحده ورسمه وغايته ليكون شروعه
على وجه الكمال فحد هذا العلم علم يعرف به معاني
الايات القرانية وموضوعه القران المنزل على
محمد صلى الله عليه وسلم المتحدى باقصر سورة منه
وغايته الفوز بالسعادة الابدية اذا علم
ذلك فمن الواجب على المتكلم في تفسير كلام
الله تعالى ان يذكر شيا مما ينشرح به الخاطر
ويقر به الناظر مما ورد في فضله من الاحاديث
النبوية والاثار البهية قال صلى الله
عليه وسلم ستكون فتن كقطع الليل المظلم
قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله
تبارك وتعالى فيه نبا من قبلكم وخبر ما بعدكم

وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل
من تركه بجبر قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره
اضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين
والذكر الحكيم والصراط المستقيم هو
الذى لا تزيغ فيه الاهوا ولا تتشعب معه الارا
ولا تشبع منه العلما ولا تمله الاتقيا من علم
علمه سبق ومن عمل به اجر ومن حكم
به عدل ومن اعتصم به فقد هدى الى صراط
مستقيم وقال انس بن مالك رضى الله عنه
فى تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة
الوثقى هى القرآن وقال سيد البشر
من اراد علم الاولين والاخرين فليثور القرآن
فان الله ياجركم بالحرف الواحد عشر حسنات
اما انا لا اقول الم حرف ولكن الالف حرف واللام
حرف والميم حرف و عنه عليه الصلاة

والسلام انه قال فى اخر خطبة خطبها وهو مريض ايها
الناس انى تارك فيكم الثقلين انه لن تعمى
ابصاركم ولن تضل قلوبكم ولن تزل اقدامكم
ولن تقصر ايديكم كتاب الله سبب بينكم
وبينه طرفه بيده وطرفه بايديكم فاعملوا
بمحكمه وامنوا بمتشابهه واحلوا
حلاله وحرموا حرامه الا وعترتى واهل
بيتى هو الثقل الاخر وقيل لجعفر الصادق
رضى الله عنه لم صار الشعر والخطب يمل ما اعيد
منها والقران لا يمل فقال لان القران حجة
اهل الدهر الثانى كما هو حجة اهل الدهر الاول
فكل طايفة تتلقاه غضا جديدا ولان كل
امرئ فى نفسه متى اعاده وفكر فيه تلقى
منه فى كل مرة علوما غضة وليس هذا فى الشعر
والخطب وقيل لمحمد بن سعيد لم كان

الترداد للقصص في القرآن فقال ليكون لمن قرا ما تيسر
منه حظ في الاعتبار ‌ ‌ وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من قرا القرآن فرأى ان احدا اوتي
مثل ما اوتي فقد استصغر ما عظم الله وقال
عليه الصلاة والسلام ما من شفيع افضل
عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك وقال
ايضا عليه الصلاة والسلام افضل عبادة امتي القرآن

باب ما قيل في الكلام في تفسير القرآن

والجراة عليه ومراتب المفسرين ‌ عن عايشة رضي الله عنها
انها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر
من كتاب الله الا آيا بعدد علمه اياهن جبريل قال
ابو محمد ومعنى هذا الحديث في مغيبات القرآن ٥
وتفسير مجمله ونحو هذا مما لا سبيل اليه الا بتوقيف
من الله ومن جملة مغيبات القرآن ما لم يعلم الله به
احدا كعلم الساعة ونحوه ويروى انه صلى الله عليه وسلم

قال من تكلم في القرآن برايه فاصاب فقد
اخطا ‌ ‌ قال ابو محمد ومعنى هذا ان يسال
الرجل عن معنى في كتاب الله فيتسور عليه برايه
دون نظر فيما قال العلما او اقتضته قوانين العلوم
كالنحو والاصول ولا يدخل في هذا الحديث
ما استنبطه النحوي من المعاني بقوانينه ٥
واللغوي بلغته والاصولي بكلامه ومقدمات
منطقه وكل عالم تكلم باعتبار ما يتقنه من علم
فلا يكون ممن تكلم في القرآن برايه وكان اكابر العلما
من السلف رضي الله عنهم يتكلمون في تفسير
كتاب الله كعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه وابن عباس
وعايشة وامساك البعض عن ذلك تورع منهم
رضي الله عنهم ‌ ‌ وكان علي رضي الله عنه يثني على
ابن عباس في تفسيره وكان ابن مسعود يقول
نعم ابن عباس ترجمان القرآن وهو الذي قال

قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه
في الدين وعلمه التأويل وحسبك هذه الدعوة
وقال جبريل عليه السلام انه كائن حبر هذه الامة

باب في قوله عليه الصلاة والسلام

انزل القران على سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر
منه اختلف الناس في معنى الحديث اختلافا شديدا
فذهب فريق من العلما الى ان تلك السبعة احرف
هي فيما يتفق ان يقال على سبعة اوجه وقال
ابن شهاب في كتاب مسلم بلغني ان تلك السبعة
هي في الامر الذي يكون واحدا لا يختلف في
حلال ولا حرام قال ابو محمد هذا كلام محتمل
وقال فريق من العلما المراد بالسبعة احرف معاني كتاب
الله وهي امر ونهي ووعد ووعيد وقصص ومجادلة
وامثال قال ابن عطية وهذا ضعيف ووجه ذلك
بان مثل ذلك لا يسمى حرفا **اقول** هذا التضعيف

مما ذكر غير ظاهر فان اطلاق الحرف على النوع مجاز
شائع قال تعالى ومن الناس من يعبد الله
على حرف الاية اي على جهة وطريقة فحيث يجوز
في اطلاق الحرف على الجهة والطريقة كان ادنا من
الواضع في الاطلاق على ما يلائم المقام لكن الاولى
المصير الى ما ذكره القاضي ابو الطيب عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال ان هذا القرآن من سبعة ابواب على سبعة احرف
نهي وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال
فاحلوا حلاله وحرموا حرامه وائتمروا وانتهوا
واعتبروا بمحكمه وامنوا بمتشابهه فهو تأييد لما ذكرنا
اقول هذا الوصف النبوي لكل شي عيانا سبب
مما اوتيه عليه الصلاة والسلام من جوامع الكلم
حيث قال احلوا حلاله اي اظهروه وذلك بحسن اتباعه
ومثله في وحرموا حرامه ثم حذف المعمول في الفعلين
المتقدمين ونزل الفعل منزلة اللازم للايذان

بانه مهما امكن العبد من فعل ما مور به يات به
ومهما توهم النهى انكف فينكف من كل ما نهى الشارع عنه
ثم جعل مورد الاعتبار المحكم لكمال ظهور
معناه ثم قطع الافكار عن معنى المتشابه به
بحسبا المومن فيه الايمان به فقال وآمنوا
بمتشابهه اذا علمت ذلك فمن الاخذ بمعاقد
العز من السور القرانية والواصل لنهايات
النهايات من البينات الفرقانية سورة الفتح
فقد قال عليه الصلاة والسلام لعمر رضى الله عنه
أنزلت على سورة هى احب الى من الدنيا وما فيها وتلى
هذه السورة والمعنى انها احب اليه من الدنيا وما
فيها بشرط بقائها الثانى فى بيان نزولها هذه
السورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه
من الحديبية وفيه احاديث شاهدة له عن انس
وابن مسعود رضى الله عنهما وبهذا تكون فى حكم المدنى

والاشبه انه نزل
منها بعض
بالمدينة

وقال الزهرى عن مجاهد انها نزلت بالمدينة والباقى
كان فى تلك السفرة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لعمر
رضى الله عنه السابق والذى تحرر ان الغالب
منها كان بسفره صلى الله عليه وسلم فى قصة الحديبية
والبعض منها بالمدينة اذا علم ذلك قال تعالى
انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته
ويهديك صراطا مستقيما اى
طريقا لا اعوجاج فيه وهو اقرب الى المقصود
ولا عدول له عن الحق والمعنى ان الله سلى رسوله صلى الله
عليه وسلم على صبره على ما وقع من صد المشركين له
عن دخول مكة بفتح يعم العالم بشره ويبقى على
صفحات الوجود ذكره بما ابرزه فى صيغة الماضى
المشعر بتحقق الوقوع قصما لظهر المنافقين
وقطعا لما عساه يخطر ببال اعداء الدين بان عزه

تعالى لنبيه محتمة وان سيوف قهره في هام
الكفر محكمة هذا مع ما انضم الى ذلك في
تلك السنة من فتح خيبر او انه سمي الصلح فتحا لانه
نشأ بعد ظهور جنود الله على الكافرين وسل
سيف الانتقام على المارقين او المراد بالفتح غلبة
الروم على فارس واضافته اليه لما تقرر عن المشركين
انهم زعموا ان من تمسك بكتاب لا نصرة له ليدخل
فيه صلى الله عليه وسلم فكان الفتح لهم له او المراد
بالفتح القضاء منه والقضاء الحكم الازلي او الكتابة
في اللوح او بمعنى القدر اي الاظهار في العيان اي
قضينا لك ان تدخل مكة من قابل والمشهور ان المراد
النصر على العدو او فتح الكمالات والمشكلات او
الصلح لما روى ابو داود واحمد باسناد رجاله ثقات
انه قال عمر او فتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي
بيده انه لفتح وفي حديثه للقرطبي بل هو اعظم الفتوح

قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح
ويسئلوكم القضية اي الصلح ويرغبوا اليكم في
الامان وقد راوا منكم ما كرهوا او كما قال وهو ظاهر
بالنسبة الى ما كان واشتهر عن انس انه فتح مكة وقيل
خيبر ولا شك ان الكمالات المذكورة وغيرها ثابتة
له صلى الله عليه وسلم والعبارة تحتملها والتخصيص
يحتاج الى مخصص فالاولى والافيد تفسير الفتح
بالنصر على العدو وفتح الكمالات مكة وخيبر وفتح
الكمالات والمشكلات وحذف المفعول
للتعميم اللائق وفي التفاسير المنقولة اشكال
وهو ان كلا منها ان ثبت بنقل فكيف الجمع بين الاقوال
والا فما وجه العدول عن التعميم مع انه الظاهر
ويحتمل ان يكون مقصود السلف بيان ان ما ذكر
مراد من غير حصر فلا اشكال وما ذكر هو جمع للاقوال
فهو الوجه الوجيه ان شاء الله تعالى وبه يجمع بين الاقوال

والاحاديث بان المراد ان كلا منهما داخل لا الحصر نعم ان حمل
الفتح على الفتح في التقدير ومعنى شامل للماضي ٥
والمستقبل لعموم المجاز يشمل كل فتح هذا وان هذا وان هذا
النظم الذي في حد اعجاز لما دونه يقف الفكر عن بدايته
فضلا ان يصل الى غايته اشار بنون عظمته تعالى الى انه
سبحانه المتولي لنصرته المظهر لاعداء الدين في عزة
نبيه صلى الله عليه وسلم عجايب قدرته فاضاف الفتح
لنفسه على انه استقلالا بعظمة الالوهية فقال
انا فتحنا لك دون ان يأتي بالاسم الظاهر وان يبنيه
للمفعول وقوله لك مع ان الفتح له ولامته لما هو
معلوم من انه المقصود اولا وامته بطريق التبع ثانيا
هذا ولما في ذلك من الايذان بان الحامل على الفتح هو
لا غيره اي قضينا بالفتح رعاية لك مع ان النعمة على
السيد نعمة على عبده فلم يفت المقصود ولم يعين
ما تعلق به الفعل المؤكد بالمصدر لتذهب نفوس الكفار

10

من حيث الخوف كل مذهب فيكون كل كافر في خشية
ان الفتح يتعلق بجهته ولانه لما بين ان الفتح مبتدا
من حضرته حيث اتى بنون العظمة كان الانسب
بالمقام ان يعدل عن متعلق الفتح الى المصدر المؤكد
لفعل الحضرة الاحدية مفخما بتنكيره لزيادة التهو بل
على الكافرين ولاستنهاض رحمة الموحدين ذ بما
ذكر ظهر ان القدرة الاحدية توجهت لكمال نصرته
صلى الله عليه وسلم ولذلك وصف الفتح بالابانة واصغا
ذلك محل التبيين الظاهر للمبالغة بتحقيق اظهاره ؟
لقدره صلى الله عليه وسلم عند ربه حيث انتصر لاجله
انتصارا مزيلا لخفاء الكفر عن شمس الايمان والمبين
لحال من قال من المنافقين لعمر رضي الله عنه متهكما
الم يعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ندخل مكة
وان نطوف بالبيت واشكل ذلك على عمر رضي الله عنه
لا من جهة ان خبر الرسول صلى الله عليه وسلم يتطرق

الى نفس الفعل المصدر المعلق
اعاده م

اليه الخلف وانما هو اشكال لخفاء المعنى للتاخير الى ان جا
الصديق رضى الله عنه وقال له كما قبله فاجابه
بما يعظم الاذهان عن البحث فى شان النبوة بما
يلوح عليه امارة التردد فى خبر النبى بقوله والله انه
لرسول الله حقا اقال لك فى هذا العام ثم اجاب
صلى الله عليه وسلم عمر بمثل ما اجاب به ابو بكر
رضى الله عنه ولم يكن ذهاب عمر الا لينظر هل يجيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بجواب غير جواب ابى بكر
فيصير اليه او به فيعتمد عليه وصولا الى علم اليقين
لما انه لا تردد مع عمر رضى الله عنه لما قدمناه من عدم
وجوده هذا ما ظهر لهذا الفكر القاصر ثم لما
قرن الله تعالى توجه قدرته بالنصرة لنبيه بين ان
هذه النعمة تكون سببا لغفر ما عساه يحتسب عليه ذنبا
مما لو وقع من غيره صلى الله عليه وسلم عد من اقرب
رفيع
الطاعات واعظم العبادات على حد قول بعض العا

توبة العصاة من المحرمات والاولياء من الشهوات
المباحات والعارفين من التشوف للمقامات
وعلى حد قول ابى سعيد الخراز حسنات الابرار
سيئات المقربين قال تعالى ليغفر لك الله
فيه التفات حيث وضع الله مكان ضمير المتكلم
المعظم نفسه ومنه فابدع هذا الالتفات ازالة
الاحتمال لان قوله انا فتحنا ليس صريحا فى ان الفتح
من الله تعالى وتعلق كل من قوله لك وما تقدم
بفتحنا زيادة فى الربط كما نصوا عليه فى قوله تعا
اقترب للناس حسابهم والا كان يكفى ليغفر الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر اذ بالجهاد لتكون
كلمة الله هى العليا صلح ان يكون الفتح سببا
للمغفرة او انه سبب لاجتماع امور المغفرة والنصر
على الاعدا او اتمام النعمة والهداية للصراط
المستقيم هذا ما ذكره العلامة الزمخشرى

وقال المكي جعل المنة اي النعمة يعني الفتح او قضا
الفتح سببا للمغفرة والحال ان كلا منهما من عنده فكما
ان الفتح فعله كذلك المغفرة منه اذ لا اله ولا مؤثر
في الوجود غيره كانه جعل الخلق والتاثير من خواص
الالوهية ومستلزما لها فافاد بنفي اللازم نفي
اللازم المساوي فهل من خالق غير الله واذا كان كذلك
فله ان يجعل احد الفعلين سببا للاخر بمعنى فعله بعده
وترتبه عليه من غير تاثير من الغير فان فعل الله لا يعلل
ولا كفاية في هذا العذر بل لا بد من بيان المناسبة
كما في سائر الاسباب فقيل الفتح ناشئ من جهده
وسعيه عادة مترتب عليه امور عظيمة ناشئة
منها فصار سببا للمغفرة ولا تكلف في ذلك
لان ما ترتب على فعل العبد بلا واسطة يعد فعلا
له عرفا وشرعا يثاب ويعاقب عليه كالقتل المترتب
على ضربنا الرقبة ونحوه والفتح وما تضمنه مترتب

على فعله فعد فعلا له واثيب بالمغفرة كانه قال
اجرينا على يديك الفتح لتكون سببا له فتثاب
بالمغفرة واذا اريد بالفتح القضا فهو باعتبار
ان المقضي فعله كانه قال قضينا بترتبها على فعلك
لتثاب فافهمه وقيل غير ذلك وجعل اللام للعاقبة
حاسم للشبهة الا انه خلاف الظاهر ويمكن
ان يكون الفتح سببا للنصرة اذ المراد بها الكائنة
من الله تعالى بقا عليه المحضة لا الرعب الملقى
في قلوب الكفار ولك ان تعتبر الذنب المغفور م
بالنسبة الى امته فيكون المعنى ليغفر الله لامتك
ما تقدم من ذنبها قوله وما تاخر فيه وجوه ء
احدها انه وعد النبي انه لا يذنب بعد
النبوة بالمعنى السابق من الاحتساب ثانيها
هو للعموم يقال اضرب من لقيته ومن لا تلقاه
ثالثها ما قبل النبوة وما بعدها قال الامام الرازي

فما قبل النبوة بالعفو وما بعدها بالعصمة وهذا
لا يمشي الا ان قلنا بانه يجوز الذنب على الولي [النبي] قبل
البعثة والصحيح العصمة منه قبل ولو صغيرة ولو سهوا
كما لروية الاستاذ الوالد رضي الله عنه تبعا
للجماعة وهو الحق قوله ويتم نعمته عليك
والنعمة الخفض والدعة وجمعها نعم والاسم النعمة
واصطلاحا اللذة السالمة العاقبة ومنه قيل
لا نعمة لله على كافر فيما يرى له من مال وولد وملاذ
فهو استدراج ويحتمل ان المراد هنا امور احدها
اتمام الدين يوم حجة الوداع اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتي او المراد
اخلاء الارض له صلى الله عليه وسلم من المعاندين
اذ بالفتح دانت قريش له وهم سادات الناس
او اتمام النعمة في الدنيا عليه باستجابة دعائه وفي الا خر
بقبول شفاعته وفي اضافة النعمة له تعالى الايذان بعظم

تلك النعمة قوله ويهديك صراطا مستقيما المعنى
يديمك على الصراط المستقيم هذا ما قاله
الامام الرازي رضي الله عنه لكنه لم يبين العلة
في العدول عن يديم الى ويهديك فالاولى ان
يختار ان ويهديك المعنى فيه نزيدك هداية
ويؤيده امره تعالى له بطلب زيادة العلم بقوله
تعالى وقل رب زدني علما ومن زاد علما زادت
هدايته وكون الهداية متسببة عن الفتح لا يخفى
وجه ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم اذ بالفتح
زاد تعلق الروح النبوي بربه تعالى لخلوصه
حينئذ عن تدبير الحروب ومعاندة الاعداء
الى صرف الوجهة له تعالى صرفا كليا وان اضيفت
الهداية الى المؤمنين فبالفتح علم المؤمنون
ان مظهر دينه فهداه بزيادة الطاعة له تعالى
واسقط ما قيل في هذا المحل ان المراد ليعرف

بالفتح انك على صراط مستقيم لان هذا يقتضى انه
كان جاهلا انه على صراط مستقيم ولا يخفى
ما فيه من النقص له صلى الله عليه وسلم وقوله
وينصرك الله نصرا عزيزا فيه عزة
ومنعة او وصف بصفة المنصور اسنادا
مجازيا للمبالغة او عزيزا صاحبه والمراد
بالعزيز القليل وقوع مثله لنفاسته اذ يقال
عز الشئ اذا قل وجوده مع الحاجة اليه واكد
النصر مع وصفه بالعزة دون اتمام النعمة
والهداية الى الصراط المستقيم لما انه اهمها
اذ به خلص بيت الله من المشركين ولذلك ابرز
الفاعل معه دون سابقيه ثم استانف تعالى
على جهة الاستدلال على ان ذلك شانه تعالى مع من
قام بامر بين عباده واوضح السبل لعباده فقال
هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين

ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اى ولا تستبعد
نصرنا لك ولقومك فان لطفنا شامل لمن امن وايقن
اذا عرف ذلك فالسكينة الطمانينة الحادثة
عن اليقين فليست هى اليقين الا انها لما كثير
حدوثها عنه تجوز الامام الرازى رضى الله عنه
واطلقها عليه لكنه لم يلوح بما يرشد الى التجوز
فان قيل الطمانينة من قسم المعانى
اذ هى كيفية نفسانية فكيف يتعلق الانزال بها
قلت يجاب بانها لما كانت اثرا عن ما انزل
على محمد صلى الله عليه وسلم من ايات الله تعالى
تعلق الانزال بها اطلق اسمها عليه من باب
اطلاق اسم الاثر على المؤثر على وجه مجازى
مبالغة ثم كان لفظ الانزال الطف فى ايصال
المراد الى محله من القذف استعمله تعالى
فى حق المؤمنين وفى حق الكفار استعمل القذف

بقوله وقذف في قلوبهم الرعب ثم تبين ان المحل
الواصلة اليه السكينة هو القلب والقلب
له اطلاقات احدها يطلق ويراد به اللحم
الصنوبري الشكل المودع في جوف الانسان
من جانب اليسار الفاني بفنا الجسد الكائن
مثله في الحيوانات والثاني الروح الانساني
المتحمل لامانة الله تعالى المتحلي بالمعرفة
المركوز فيها العلم بالفطرة الناطق بالتوحيد
بقوله في عالم الذر بلى فهو اصل الادمي ونهاية
الكمالات في عالم المعاد قال الله تعالى قل
الروح من امر ربي وقال الا بذكر الله تطمئن
القلوب وقال الله تعالى في الحديث القدسي
ما وسعني سمائي ولا ارضي ولكن وسعني قلب
عبدي المومن وهذا الاخير من الاطلاقين هو
المراد بالمحل الذي نزلت به السكينة كيف وقد

(margin: الكاينات م)

فسرنا السكينة بالطمانينة على انا لا نخلي النوع الاول
من شرف اذ قال عليه الصلاة والسلام الا ان في
الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت
فسد الجسد كله الا وهي القلب فهذا ظاهر
في الاول الا انه من شدة [جهة] تعلق الثاني به شرف
لانه رئيس المملكة البدنية ثم ان الثمرة التي
انتجها السكينة هي زيادة الايمان الذي به الفوز
باشراق نور الرحمن فقال تعالى ليزدادوا ايمانا مع
ايمانهم اي يقينا مضافا ذلك الى اصل التوحيد
اذ اصل الايمان الذي به يخرج الشخص عن ربقة
الكفر لا ينقص كما هو ظاهر فبقي القدر الذي يقبل الزيادة
بالاعمال والنقص بعدمها هو القدر الزائد على ذلك
الاصل ثم هل ذلك اليقين الاصلي يتفاوت بحسب
الكيفية اولا الظاهر الاول بدليل قوله صلى الله عليه
وسلم لم يسبقكم ابو بكر بكثرة صلاة ولا بكثرة صوم

ولكن بشئ وقر فى صدره وذلك الشئ قطعا هو الايمان الاصلى
لا الناشئ عن عمل بدليل نفيه السبق به اللازم منه
نفى السبق له بما نشا عن الصلاة والصوم من الايمان
وايضا لو قلنا بان اصل الايمان بحسب محله لا يختلف
كيفية للزم على ذلك ان ايمان احاد الناس الاصلى فى
الكيفية كايمان الانبيا واللازم باطل فكذا ملزومه فان قلت
فما وجه تسبب لزيادة هنا بانزال السكينة
قلت لانه بالسكينة اطمانت قلوبهم فصبروا على
قتال اعدا الدين فنصرهم الله فبالنصر علموا ان الله
مؤيد هذا الدين وماح لاثار الكافرين فازدادوا
ايمانا او ان الله تعالى كلفهم بتكاليف فاتوا بها فازدادوا
ايمانا بسبب ذلك هكذا قال الامام الرازى رضى الله
عنه خبير بان هذا بعد عن ظاهر النظم بسبب ان
زيادة الايمان جعلها تعالى مسببة عن تلك السكينة
والسكينة ليست بعمل كما قدمنا فكيف يقال

ان المعنى فيه انه امرهم بتكاليف فاتوا بها فازدادوا
ايمانا نعم التكاليف تزيد الايمان فهى سبب كما
ان السكينة سبب لزيادة الايمان وكل من
السببين له معنى مستقل فالاول نشا من العبد
بتوفيق الرب والثانى وهو السكينة من الرب
ابتداء هذا والرازى رضى الله عنه فسر السكينة
بالوقار باليقين وهو خلاف العمل هذا ما ظهر لى
والله اعلم ثم لما كان الايمان فى العبد فطريا وكان الكفر
فيه جهلا وعنادا قال فى حق المؤمنين ليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم وفى حق الكفار انما نملى لهم ليزدادوا اثما
ولم يقل مع كفرهم اذا عرفت هذا فاخذ الله تعالى
يظهر لعباده ان اظهار الفتح على ايديهم ليس الا منة
منه لا بمحض نصرة الرسول بمن حضر معه صلى الله عليه وسلم
من المؤمنين اذ له تعالى جنود السموات والارض فقال
تعالى **ولله جنود السموات والارض** فلو اراد نصر دينه

بغيركم لنعمل **وكان الله عليما** بخلقه **حكيما**
في صنعه اي لم يزل متصفا بذلك والمراد بالجنود
المذكورة ملايكة السموات والارض او من في السموات
من الملايكة ومن في الارض من الحيوانات والجن
او الاسباب السماوية والارضية حتى يكون سقوط
كسف من السما من جنوده تعالى فمن كانت هذه جنوده
وهي من مخلوقاته فانه اذا اراد باحد خيرا اجرى نصره
انبيائه على يده بحكمة تقدس وتعالى فانه
حكيم لا يضع الشي الا في محله عليم بما يليق بكل
قابلية من كمال فيفيضه لدعليها او لا يغيب عن علمه شي
من تلك الجنود ثم اخر ذكر الحكمة عن العلم لان العلم هو ادراك
لحقايق الاشيا سوا وضع العالم الشي في محله او لا
والحكمة هي وضع الشي في محله فهي اخص فاخرت
ثم اخذ الله يقرر ان هذا التدبير من تسليط المسلمين
على الكفار وانزال السكينة عليهم انما هو علة

لادخال المومنين الجنة فقال تعالى **ليدخل** متعلق
بمحذوف اي امر بالجهاد **المومنين والمومنات جنات**
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
علة مع ما بعده لما دل عليه قوله تعالى ولله جنود السموات
من معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المومنين على
الكافرين ليعرفوا نعمة الله ويشكروها فيدخلوا
الجنة ويغيظ الكافرين والمنافقين لما غاظهم في الحالة
الراهنة او فتحا وانزاله وجميع ما ذكر ليزدادوا وقيل
انه بدل منه بدل اشتمال **فان قلت** لما ذكر
المومنين والمومنات هنا ولم يذكر المومنات في قوله
وبشر المومنين وفي قوله قد افلح المومنون **قلت**
لما كان هذا المحل يوهم اختصاص المومنين بالجزا لانه نشا
عن القتال بين الله تعالى بذكر المومنات عدم
اختصاصهم بالجزا بذكرهم وليس في قوله تعالى
وبشر المومنين ما يوهم اختصاصهم دونهن لان بشارته

تعالى على لسان رسوله ونذارته معلوم عمومهما بخلاف
هذا المقام فانه مقام ذكر الفتح وصبر المؤمنين على
الجهاد فلو اغفل ذكرهن لتوهم اختصاصهم دونهن
فان قلت بماذا يكن الثواب مع انه لم يظهر فعل لهن
قلت يكفي اشتغال قلوبهن بالتوجه الى الله تعالى
ونصر المؤمنين وانهن لو كن في مرتبة الرجال لكن ممن
يقاتل وهذا العزم كاف في تحصيل الثواب منه تعالى
ثم قال تعالى **ويكفر عنهم سيئاتهم** اى
يسترها ولا يظهرها **فان قلت** لم ذكر التكفير
عقب ادخال الجنة مع ان تكفير السيئات قبل الادخال
فالجواب من وجهين احدهما الواو لا تقتضي
ترتيبا الثاني تكفير السيئات والمغفرة وغيرهما لا يكون
الا بعد كون المكلف من اهل الجنة فقدم الادخال
في الذكر للمبالغة في انه من اهل الجنة ولان الشخص
في الجنة تزال عنه قبائح البشرية الجرمية كالفضلات

والمعنوية كالغضب والشهوة وهو التكفير وتثبت فيه
الصفات الملكية وهي اسنى انواع الخلع الرحمانية
وقد يقال قدم دخول الجنة مع انه بعد العفو لانه
اتم واعلى بل هو المقصود والعفو لاجله او لان
الستر الكامل بتكميل الدرجات وان لا تنقص وذلك
انما يظهر في الجنة وظهور التكفير بعد الدخول ومن
حصل له ذلك فاز عند ربه فوزا عظيما فلهذا قال
الله تعالى **وكان ذلك** اى الادخال والتكفير
عند الله فوزا عظيما اذ هو منتهى ما يطلب العبد
من ربه ونهاية دفع ما يخافه منه تعالى وعند
حال من فوزا ثم زيادة النعيم للمؤمنين عند
ربهم ان الله تعالى يتولى تعذيب من عاداهم
في الدنيا يوم القيامة اثر تعذيبهم لهم في الدنيا بالقتل
والسبي فقال تعالى **ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات** عطف على يدخل

الا اذا جعل بدلا فيكون عطفا على المبدل منه اذا
علم ذلك فالمنافق هو من اظهر خلاف ما في ضميره
ومنه من اظهر الايمان واخفى الكفر وهذه الحالة
اقبح خصال الكفر فلهذا اخر ذكر المشركين ومن عبدة
الاوثان مع عدم اظهارهم الايمان لان حالة من
اخفى الكفر افظع اذ من اظهر الايمان بالضرورة
يكون حاله ملتبسا على الناس لا يومن من مكره
ويقع فيه المومن وهو لا يشعر لان صورة ايمانه تنفى التحرز
منه بخلاف معلن الكفر ولهذا كان الخطر في مجالسة
اهل البدع اقوى منه في مجالسة اهل الكفر ثم وصفهم الله
بما هو كالعلة في استحقاقهم العذاب بقوله
الظانين بالله ظن السوء الظن هنا يحتمل
وجوها احدها هو الظن الذي ذكره الله في هذه
السورة بقوله تعالى بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول
الاية ثانيها ظن المشركين ان معبوداتها من الاوثان

تقربها منه تعالى ثالثها قوله تعالى ان هي الا اسماء
سميتموها انتم واباؤكم الى قوله ان يتبعون الا الظن
وان الظن لا يغني من الحق شيئا رابعها ظنهم ان الله
لا يعلم بافعالهم جميعا كما قال تعالى ولكن
ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون واولها
اقربها خامسها كل ظن وقع منهم كما ارشد اليه الالف
واللام في السوء والسوء والسوء كالكره والكره
والضعف والضعف الا ان المفتوح غلب فيما
يراد ذمه من كل شيء واما المضموم فجار مجرى الشر
الذي هو نقيض الخير يقال اراد به السوء واراد به
الخير ولذلك اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما
وكانت الدايرة محمودة فكان حقها ان لا تضاف
اليه الا على التاويل وذلك ان الدايرة يذمونها لكونها
عليهم وان كانت محمودة عند المومنين ثم وصف
ما وقع عليهم بانه داير محيط للدلالة على انه لا نجاة

لهم منه ابدا كمن يقع في مسورة لا ينفلت منه وهذا الامر
والدايرة كانت لظنهم على المومنين فخيبهم الله وقهرهم
واذلهم ودحرهم ثم بين تعالى ان هذه الحالة الدنيوية
غير كافية في نكالهم بل وراء ذلك العذاب الاخروي
الذي هو غضب الله وكفى به عذابا لو لم يقترن بغيره كيف
وقد اقترن ايضا باللعن وهو الطرد عن رحمة الله واليأس
منها وايضا ان جهنم مهيأة لهم وساءت مصيرا
وعاقبة فمن هنا قال الله تبارك وتعالى
وغضب الله عليهم ولعنهم وابعدهم ولا شك
ان البعد يستلزم الغضب وصرح به للاشعار بان
العذاب ليس للتطهير بل لغضب مقتض للبعد **واعد**
لهم جهنم وساءت مصيرا اي مرجعا كيف لا يحل
بمن عصاه قوارع الغضب ما يحل فانه فله جنود
السموات والارض واما من ذاته فباللعن والطرد
من رحمته ففي اعادة قوله سبحانه وتعالى

ولله جنود السموات والارض معنى غير ما تشهد
من الاول اذ الاول كما قدمنا فيه الاشارة الى انه
تعالى انما جعل الفتح على يدي من ذكر لا لارادة الخير بهم
لا لانحصار جنود الله فيهم والثاني فيه ما ذكرنا
فانظر الى نور هذه المعاني ما ازهره والى نور هذه
المثاني ما انوره وقال في هذا المحل **وكان الله**
عزيزا في ملكه **حكيما** اي لم يزل متصفا
بذلك وفي الاول وكان الله عليما حكيما للتفاوت
بين ايراد ذكر الجنود في المحلين كما قدمنا اذ في هذا
المحل المقصد منها ابرازا لعظمة في اخذا لكافرين
فناسب ان يعقب ذكر الجنود بوصف العزة والحكمة
في استحقاقهم للعقاب وهناك المقصد منهم انه
ما خصهم بدخول الجنة وان الفتح على يديهم الا لما علم
من اخلاصهم في طاعة الرسول بما يجعل الحكمة
في استحقاقهم للثواب فكان كل من الايتين بمحله اللائق

والى كماله اسبق ثم لما قدم تعالى صفة العلم
الذى من جملة ما يتعلق به اعمالهم فربما يخطر فى بال احد
من معاندى الدين انه لا يحتاج الحال الى تطلع الرسول
لاحوالهم ولا الى طلب ما كان من اخبارهم فبين تعالى
ان رسوله وظيفته الاستشراف على ما كان من حالهم
فيبشر اهل الايمان وينذر اهل الكفران فقال تعالى
انا ارسلناك شاهدا حال مقدرة اى مقدرا ومريدا
فان الشهادة بعد الارسال او المعنى لاجل كونك
شاهدا ويحتمل ان المراد الشهادة بالوحدانية
فلا تكلف **ومبشرا ونذيرا** اى شاهدا
على امتك بابلاغهم الرسالة اى مقبولا قوله عند الله
من غير طلب بينة كما هو شان الشاهد العدل لما صرح
به الزمخشرى وغيره فالشهادة مجاز والشهادة
المقبولة من خصائصه عليه الصلاة والسلام
وغيره وان شهد مطالب بالبينة فلا بد ان الاختصاص

ينافى قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وفى المعالم ان المراد الشهادة للانبياء بالتبليغ
فهى ايضا خاصة ولا يخفى انه كان الاوجه
الحمل على الشهادة بحال الامة او تزكيتهم او على
الامم كما ذكره المفسرون لتكون الشهادة ظاهرا
والاختصاص باهرا وقد ثبت له صلى الله عليه
وسلم انواع الشهادة فالتخصيص ببعض يحتاج
الى مخصص وحيث لم يكن فالوجه التعميم دفعا
للترجيح بلا مرجح كما قرر فى محله وكمال الاختصاص
وعلو المرتبة فى غاية الكمال وقيل شاهدا لهم
بالتوحيد فالمراد بالامة المومنون ومبشرا لها
بالثواب على العمل الصالح قطعا ولو بعد دخول
النار وقيل بالمغفرة لمن تاب او بالنجاة من النار
قطعا ولو بالاخرة او العفو فى الجملة او ان تابوا
فيشمل الكل ومنذرا عدوه بالعذاب والانذار

التخويف ولما كان كل مؤمن مبشرا خص الانذار بالكافر
ليكون المنذر غير المبشر كما هو المتبادر وتخصيصه
به في الكتاب والسنة وعن قتادة انه قال
منذرا من عصى فيعم الفاسق وهو منذر من وجه
ومبشر من وجه بل يمكن ان يقال خوف المتقين
من الله تعالى فان كل مقرب خايف ولا يامن مكر الله
الا القوم الخاسرون ويؤيد قوله تعالى ليكون
للعالمين نذيرا بل يحتمل ان يعد قوله للكافرين تتمة
يعم لك البشارة اذ المراد بالانذار ما من شانه التخويف
فكذا البشارة فيكون قوله وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا على الظاهر لا التوزيع
فليتدبر وقيل محذرا من الضلالات فيشمل
الفاسق والمتقي ايضا قطعا لثبوت التحذير او شاهدا
بما شهد الله به قال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة واولوا العلم وهم الانبيا

صلوات الله وسلامه عليهم **فان قلت** قال
في سورة الاحزاب شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا فذكر اوصافا خمسة
وهنا ذكر ثلاثة منها فما الفرق بين المحلين **فالجواب**
ان الله تعالى في سورة الاحزاب بين غالب احواله
صلى الله عليه وسلم فكان المقام لايقا بزيادة القابه
صلى الله عليه وسلم وهنا المقصود بيان تعجيب الخلق من
شان ذلك النبي فاقتصر على هذه الاوصاف الثلاثة
لاجل التسارع الى تفصيل الشؤون التي وقعت
للمؤمنين ثم لما اتم له صلى الله عليه وسلم هذه
الاوصاف عقب ذلك بالعلة الغائية في ارساله
متصفا بهذه الاحوال السنية فقال تعالى
ليؤمنوا بالله ورسوله الخطاب لامته وله
صلى الله عليه وسلم لانه مامور بالايمان بما انزل اليه
من ربه قال تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه

والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
والجمع بين الاسمين بهذا الحرف المفيد لمشاركة
المعطوف والمعطوف عليه في الحكم من غير اشعار
بالفرق دال على التعظيم والمناسبة ولا اشكال
على حمل اللام لام العاقبة نحو ليكون لهم عدوا وحزنا
المعنى ارسلنا اليكم فالخطاب للامة او هو
التفات عند بعض وقرئ ليؤمنوا بياء الغيبة
وهو متعلق بارسلناك والمعنى ليؤمنن بالله ثم بالنبي
صلى الله عليه وسلم من سبقت في العلم والتقدير له من
الله الحسنى والسعادة والمعنى لاجل ان نامرهم
فيشمل امة الدعوة كلهم **وتعزروه** اى
تضلوا لاجله او تنزهوه او تقولوا سبحان الله
وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا
بالغداة والعشي الضماير جميعا راجعة الى الله تعالى
بدليل وتسبحوه اذ التسبيح له تعالى كما ذكره بعضهم

في قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ان سبحان كلمة
اختارها الله لنفسه بجميع مشتقاتها ومن هنا قال
العلامة الزمخشري ومن فرق الضماير فقد ابعد
وقرئ وتعززوه بضم التاء وكسرها وبالزاءين
المعجمتين من العزة بمعنى القوة والغلبة والرفعة
والسلطة وقرئ وتوقروه من اوقره بمعنى وقره
وما تقدم من ان الضمير في يعزروه ويوقروه لله تعالى
هو ما ذهب اليه الزمخشري ومن بعده وكثير
ممن سبقه واختاره كثيرون لئلا يلزم تفكيك
الضماير وقال القاضي عياض الاكثر والاظهر
ان الضمير من قوله تعزروه وتوقروه عائد الى الرسول
صلى الله عليه وسلم لا الى الله تعالى لان الرسول
عليه الصلاة والسلام اقرب ونسبة التوقير
الى الله تعالى قليلة متوهمة للمحال فيحتاج الى
التاويل وقد ورد فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه

ففي ذلك رعاية للفظ والمعنى بقوله تعالى والمناسبة
لكن الزمخشري بالغ في انكاره جدا كما سبق وايد المعنى
بقوله تعالى ان تنصروا الله وما لكم لا ترجون
لله وقارا فالاكثرية والاظهرية التي ذكرها القاضي
في محل المنع ولعل القاضي منع الركاكة التي ذكرها
الزمخشري وكل حزب بما لديهم فرحون فليتدبر
والقاضي يتفق على يوقروه وفيه تخفيف لشناعة
الزمخشري واما قوله وتسبحوه فهو راجع الى الله تعالى
وفاقا لعدم ورود اللفظ في حق غيره ثم ليعلم ان هذه
الامور الاربعة المسوقة هنا من الايمان بالله فما بعده
يحتمل ان تكون مرتبة على ما قبلها كل واحد على واحد
فقوله لتؤمنوا بالله مرتب على قوله ارسلناك لان كونه
رسولا يقتضي الايمان بالمرسل وبما جاء به عنه
وكونه شاهدا مطلقا على احوالهم يقتضي ان يعزروا
الله حق قدره وذلك بتعزيره وكونه مبشرا يقتضي

ان يوقروا جانب الربوبية لان البشارة منه تعالى واذا كانت
نعمة يجب شكرها بتوقير الرب وكونه نذيرا يقتضي
ان يخشى ما يخوف منه من سخط الرب تعالى فنزهه عما لا يليق
ويصح ان يجعل كل واحد من الاربعة الاخيرة معلولا
عن كل واحد مما تقدمه **فان قيل** ما وجه
هذا الترتيب مع ان قوله لتؤمنوا يطلب فعلا وكل
من قوله مبشرا الى اخره وصف **قلنا** هذا الترتيب
من جهة المعنى كما تقول بعثنا اليك عالما لتكرمه
فجعلت الاكرام مرتبا على الوصف معنى على ان قوله انا
ارسلناك اي حال كونك مبشرا الى اخره فترتب قوله
على الارسال معتبرا فيه هذه الاحوال **فان قلت**
كيف كان في حال الارسال متصفا بالبشارة الى اخره
والبشارة وما بعدها متأخر عن وقت الارسال
قلت ذلك حال له بالقوة او هي احوال
منتظرة والاولى قولي ثم لما بين الله تعالى انه ارسل رسوله

بعنوان البشارة والنذارة لاجل قيام الآل الربوبية
من التعزيز والتوقير والتنزيه اخذ يقص عليه بعض
احوال الطايفة ممن كان معه في عام انزال هذه
البشارة وبين حال ثباتهم وقوة ثباتهم
وانهم باعوا انفسهم في ذات الله بتلك المبايعة
وحسن اداء تلك المتابعة بما بين به شاو شانه
صلى الله عليه وسلم بان من بايعه فكانما بايع ربه
تبارك وتعالى فبه يزداد الايمان في قلوب المومنين
وينمو اليقين في باطن الموحدين فقال تعالى
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
يعني بيعة الرضوان ارسل صلى الله عليه وسلم
في غزوة الحديبية سنة ست عثمان رضي الله عنه
الى قريش بكتاب الصلح وقيل للاخبار بانه صلى الله عليه وسلم
لم يجئ للقتال فسمع بانهم قتلوا عثمان رضي الله عنه فجلس
تحت شجرة وامر الناس بالبيعة فعن سلمة بايعناه على الموت

وعن جابر على ان لا نفر فنزل فيهم لقد رضي الله عن المومنين
وهم الف واربعمائة وروي وخمسمائة فسميت بيعة
الرضوان واما الاختلاف في طريق البيعة فيجمع بان
بعضا وبعضا ولم يرد بالموت الا الصبر على الجهاد
وان انجر الى الموت وهو المراد بعدم الفرار فلا
اختلاف في المقصود بين القولين واما اللفظ الواقع
فمحتمل اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك والمبايعة
من البيع هم باعوا انفسهم واموالهم بالجنة والله
باع منهم الجنة وتطلق في العرف على المعاهدة على امر
والظاهر ان القصر حقيقي على التشبيه اي كانه
بلا واسطة الرسول صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى
فهو اكد في التثبيت وفيه تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم
ايضا اذ النفي غير مراد بل الحصر مجاز عن تاكيد الحكم
ويبعد ان يكون اضافيا ردا لمن زعم انه مع الحق
فليتامل لانه لاطاعته تعالى ولكونه رسولا منه

فالمبايعة له مبايعة الله تعالى ولذلك اكد بقوله انما
المفيدة لحصر وجوه المبايعة منه تعالى ولهذا اكد ثانيا
بقوله تعالى **يد الله فوق ايديهم** يريد عند البيعة
والاية من المتشابهات لانه تعالى منزه عن الجارحة
فمنهم من امن بما اراد وسكت ومنهم من جعلها مجازا
عن معنى ثابت ومنهم من اثبت يدا غير الجارحة بمعنى
ان له ما يقوم مقام الجارحة لنا فسماه يدا حقيقة
فليتدبر والناس في مثل ذلك اما سلف واما خلف
فالسلف طريقتهم التسليم والتنزيه والخلف
طريقتهم التاويل وترجيح الاولى الى الثانية كما قاله الامام
الرازي لان من سلم اعتقد تنزيه الحق عن الجارحة
مع عدم تعطيل اللفظ غايته انه لا يبحث عن معاني اللفظ
اذا علم ذلك فاللفظ العربي اما ان يحتمل معنى او اكثر
فان كان الاول فنص وان كان الثاني فاما ان يكون احتماله
على السواء فالمشترك واما مع ترجيح فهو مع الراجح ظاهر

ومع المرجوح مؤول والاصل حمل اللفظ على ظاهره لتبادره
الى الفهم اولا لكنه قد يمنع العقل من الحمل على الظاهر
فيحمل على المؤول محافظة على عدم تعطيل اللفظ ما امكن
وليعلم ان الشيء قد يشبه بشيء في النفس ويذكر
احد طرفي التشبيه فان ذكر المشبه به واريد المشبه
فاستعارة مصرحة وان ذكر المشبه واثبت له لازم
المشبه به فاستعارة مكنية على اختلاف في تعيينها
واثباته استعارة تحقيقية بان يراد باللازم معناه
الحقيقي والاسناد على التخييل عند الجمهور فمنهم من ذهب
الى ان في يد الله استعارة تخييلية ومكنية بان شبه
الله برسوله ثم ذكر المشبه مثبتا له يدا على التخييل والمجاز
في الاسناد واظهر ان يد رسول الله التي تعلو ايديهم
يد الله وقال بعض المحققين لله تعالى يد تليق به
فشبه يد الرسول بيده واطلق عليه يد الله فهو استعارة
مصرحة او شبه الحالة التي لبيعته تعالى مع ايديهم بالتي

لید الرسول معها یعنی الفوقیة فاطلقت علی المشبه استعارة
وعلی التاویل فقوله تعالی ید الله فوق ایدیهم اما ان
تعتبر الید فی المحلین بالمعنی المؤول نظرا للمشاکلة
او فی حقه تعالی فقط واذا کان الاول فاما ان تغایر
بین التاویلین فی المعنی مع الاتحاد فی اصل التاویل
او توافق اما فی حقه تعالی فالتاویل واجب علی کل
حال لما قدمنا من رجوع التسلیم الیه اذ العقل
منع من اضافة الجارحة الیه تعالی لانه احد
لا یقبل القسمة لذاته ولان الترکیب یستدعی
مرکبا وکل ذلک امارة حدوث منزه عنها واجب
الوجود تقدس وتعالی واما فی حق المبایعین
فمعلوم جواز الامرین ترجع الی بیان الید فی حقه تعالی
فهی بمعنی القوة والقدرة والنصرة او النعمة او الثواب
فعلی الاول کانه قال قوة الله وقدرته علی اظهار دینه
فوق قدرتهم وقوتهم فقوته تعالی وهذا مجاز شائع

لاظهار قوة القوی بالید او نعمته بالعز والهدایة
فوق احسانهم او ثوابه فوق بیعتهم والوفا بها ان اولنا
فی حقهم ایضا لاظهار الاستغنا التام عن سایر الموجودات
وان اولنا فی حقه تعالی فقط فالمعنی قدرة الله تعا
مؤیدة لهم فی حربهم او حفظه فوق جوارحهم بحفظهم
علی البیعة کما انه قد توضع الید علی ید المتبایعین
لیتم عقدهم ولولا ذلک ما حصل ذلک الاثر من ثبات
جنانهم ونشاط ارکانهم وقوة جوارحهم ولا شبهة
انه من لم یجر علی ما تقتضیه هذه المبایعة یکون حسرة
علی نفسه فلذا قال الله تعالی ومن نکث
نقض البیعة فانما ینکث علی نفسه ای یرجع وباله
نقضه علی نفسه اذ بتاویل الید بالاحسان یکون
یکون الناکث مغبونا ه لما ینعم به علیه الرحمن او مفوتا
لتوجه القدرة لمعاونته وبتاویل الید بالحفظ یکون
کمن یجعل یده فوق ید شخص یعاهد شخصا آخر لاجل حفظ

عهدهما من النسخ فالمعنى لا يحصل لك كدر بنكث من نكث
فان المبايعة مع ربك وربك لا ينقص بتقصير
عباده انما التقصير يرجع اليهم كما قال تعالى من عمل
صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها واذا ذكر ان من نكث
عاد نكثه عليه باللوم لزم ان يبين حال من لم ينكث
بل بقي على عهده فقال تعالى **ومن اوفى بما عاهد**
عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما الاجر ماخوذ
من الاجرة التي تكون في مقابلة العمل والحق مالك
لهم وخالقهم واذا كان كذلك فما معنى الاجر
وهل لا قيل يمن عليه الله **فالجواب** انه لما كان الامتنان
من شانه ان لا يكون محقق الحصول وان كان بعروض
كونه من كريم صدوق يكن محقق الحصول لكنه ليس
بموضوعه محقق حصوله بخلاف الاجر فانه بذاته
محقق حصوله لوجود مقابله من جهة الآخذ
فاراد الله ان يصف ما يفيضه من احسانه على

على عبيده بما هو محقق الحصول فاستعار له معنى
الاجر واطلقه عليه لمشابهته اياه في تحقق
الحصول وليعلم ان الخلف في الوعد نقص لا يجوز ان
ينسب الى الله تعالى بخلاف الخلف في الوعيد فانه
كرم يجوز اسناده الى الله تعالى فيجوز ان لا يعاقب
العصاة وقد استشكل بانه ان جاز الخلف في الوعيد
لزم الكذب لتعالى الله عن ذلك ولزم تبديل القول
مع النص القاطع بانتفائه واختلفوا في جواب ذلك
وفي شرح المقاصد الجواب الحق ان من يتحقق العفو
في حقه يكون خارجا عن عموم اللفظ وارادة الخصوص من
العام والتقييد من المطلق سائغ من غير دليل
متصل ودليل التخصيص والتقييد وان كان متراخيا
بيان لا نسخ انتهى وهو في الحقيقة منع للخلف كما لا يخفى
ولبعضهم الوعد انشاء على الاصح يعني انشاء الضمان عند
وجود الوصف والكذب مخصوص بالاخبار

قال بعض الائمة مراده ان الوعد والوعيد كلاهما انشا
فالخلف فى الوعيد ليس بكذب فلا نقص فاما فى الوعد
فلان مقتضى الكرم ان لا يتخلف عنه فعدم جواز الخلف
فى الوعد لا لانه كذب بل لان الكريم اذا وعد وفى
واذا اوعد تجاوز وعفا والاوجه فى هذه المسئلة
المنتشرة ان يقال بامتناع الخلف حقيقة فى كل من الوعد
والوعيد لاستلزام الكذب وتبديل القول
وقد قام القاطع على امتناعه وبان كلا منهما معلق
بالمشية وان لم يصرح بها لقيام القاطع على تعلقهما
كغيرهما بها فمعنى الوعيد اعذبهم ان شئت والوعد
انعمهم ان شئت لكن الفرق بينهما حينئذ انه بجوده ورحمته
لا يشا الا التنعيم وقد لا يشا التعذيب بل يشا عدمه
وبذلك يظهر جواز الخلف فى كل منهما بحسب الظاهر
دون الحقيقة الا انه لا يقع فى جانب الوعد وان كان
لو وقع لم يلزمه محذور وقد يقع فى جانب الوعيد

من غير لزوم محذور فليحفظ فانه بديع نفيس ونكر ذلك
الاجر للدلالة على كثرته ثم وصفه بالعظمة بقوله
عظيما وهو ما اجتمع فيه الطول البالغ والعرض الواسع
والسمك الغليظ فيقال للجبل اذا كان فيه الارتفاع
ولم يكن فيه العرض الواسع جبل عال او مرتفع ولا يقال
عظيم الا اذا حصل فيه ما ذكر فلذا وصف الاجر
بالعظمة لكون ماكل الجنة مع كثرتها تكون ممتدة
فى ابعادها تتناولها الايدى بسهولة مع اللذة فيها
كما ورد فى السنة فى السدرة المنتهى لو غطيت
بورقة منها هذه الامة لغطتهم هذا وقد يستعار
معنى العظيم لمن لا يوجد فيه هذه الابعاد ولا
الجسمية كما فى وصفه تعالى نفسه بالعظمة
ثم بين تعالى حال من تخلف عن الذهاب مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى توجهه الى مكة من اهل النفاق
وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة

يظهرون الايمان ويخفون الكفر بقوله تعالى **سيقول لك المخلفون من الاعراب** حول المدينة اى الذين
خلفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك الى مكة
خوفا من تعرض قريش لك عام الحديبية اذا رجعت منها
شغلتنا اموالنا واهلونا عن الخروج معك ؟
فاستغفر لنا الله من ترك الخروج معك ٥،
يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم هم اسلم وجهينة
وغفار وذلك انهم قالوا اهل مكة يقاتلونا
عند باب المدينة فكيف بهم بمكة وداخلهم
من خوف اهل مكة ما داخلهم فقالوا شغلتنا
اموالنا واهلونا فلم نجد قائما عليها ولم يجعلوا
الشغل بسبب التكسب لان جمع المال لا نهاية له
بخلاف حفظ الموجود فلذلك كان العذر به دون
غيره ثم ابرزوا ذلك فى صورة الذنب تحقيقا لما
يظهرونه من صورة الايمان لكمال نفاقهم فلذلك

قالوا له صلى الله عليه وسلم ما قصه الله بقوله تعالى
فاستغفر لنا اى اطلب لنا من الله غفر سيئة هذا
التاخير وان كان بعذر اظهارا للتحسر على التخلف
فرد الله عليهم بقوله يقولون بالسنتهم ما ليس
فى قلوبهم تكذيبا لهم فى اعتذارهم وان الذى
خلفهم ليس ما زعموه بل هو الشك فى الله تعالى
والنفاق ولازم ذلك ان يكون طلب الاستغفار
ليس على حقيقته لان تكون المخالفة سيئة عندهم
فرع عن التصديق بما اتى به ذلك المخالف فلقن الله
الرسول صلى الله عليه وسلم ما يجيبهم به وهو قوله
قل فمن استفهام بمعنى النفى اى لا احد
يملك لكم من الله شيئا اى من يمنع عنكم
بأسه تعالى **ان اراد بكم ضرا** ما يضركم
كقتل وهزيمة وخلل فى المال والاهل **او اراد**
بكم نفعا ما يضاد ذلك من النصر

على العدو والغنيمة فلا احد يمنعكم من مشيئته
وقضائه فهو تعالى الفعال لما يريد وقدم ذكر
الضر على النفع للايذان بانه الاقرب اليهم
قرئ ضرا بالضم والفتح ثم بين تعالى ان الاضراب
عن هذا الحال اولى بهم بقوله **بل كان الله بما تعملون**
خبيرا من عمل ظاهر وقلبي فيعلم ذلك علما اخفا
معه لانه خالق العبد وعمله اى لم يزل متصفا
بذلك ۝ ولما كانت هذه الاحوال الصادرة
عنهم جديرة بان تقص ۝ وعلى منصات الافكار
تنص لتستقي قال **بل ظننتم ان لن ينقلب**
الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا اى لا يرجع
الرسول الى المدينة ولا احد من المومنين
لظنكم ان المشركين يستاصلونهم بالقتل
فلا يرجعون منفيا رجوعهم على وجه التابيد
المستفاد من قوله ابدا والابد الذى لا اخر له

والاهلون جمع اهل ويقال اهلات على تقدير
تا التانيث كارض وارضات وقد جاء اهلة
واما اهال فاسم جمع كليال وقرئ الى اهلهم ۝
وزين ذلك فى قلوبكم اى انهم يستاصلونهم
بالقتل فلا يرجعون فتمكن فيها ۝ وقرئ على البنا
للمفعول والمزين لهذه الحالة فى قلوبهم هو
الشيطان او البارى تعالى لحكمة اقتضت
ذلك كما قال تعالى زينا لهم اعمالهم **وظننتم**
ظن السوء الظن المذكور وغيره بان الرسول
والمومنين لا يرجعون الى المدينة والمراد
التسجيل عليه بالسوء وهو وساير ما يظنون بالله
من الامور الزايغة **وكنتم قوما بورا**
هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم
مستوجبين لسخطه وعقابه والبور من بار
كالهالك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به

الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز ان يكون جمع
باير كعايذ وعوذ ويجوز ان يكون المعنى كنتم قوما
فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم ثم بين تعالى
امرا كليا يعم من كان كفره كفر نفاق وغيره بان من
لم يؤمن فهي له السعير ويكون اليها له المصير
فقال تعالى **ومن لم يؤمن بالله ورسوله**
فانا اعتدنا للكافرين سعيرا نارا شديدة
ومعلوم ان التنكير هنا للتهويل لامر تلك النار ثم بين
تعالى انه المخترع للعالم والموجد لكلياته
وجزئياته والمالك لارضه وسماواته لان ذلك
اقوى على انجاز ما وعده المؤمنين وتحقيق ما اوعده
الكافرين فقال سبحانه وتعالى
ولله ملك السموات والارض فيدبر ملكه تدبير
قادر حكيم يضع الشيء في محله بان يثيب
الطايع ويعذب العاصي ان شاء وان لم يعذب العاصي

بل عفى لا يكون ذلك الا حكمة ومنه التفضل
التام فلا تنظر الى ما قاله الزمخشري عفا الله عنه
في هذا المحل من ان المشية تابعة للحكمة وحكمته
تعذيب العاصي ان شاء وان لم يعذب العاصي بل عفى
لا يكون ذلك الا حكمة وثواب الطايع فالمقدمة
والنتيجة غير مسلمة لما قدمنا من انه اذا اثاب العاصي
كان بالحكمة لاشعار ذلك بالفضل التام
وايضا فلو قلنا انه يفعل للحكمة لزم على ذلك ان لا يكون
فاعلا مختارا بل الحق انه في افعاله جار على الحكمة لا انه
لعلة الحكمة يفعل ثم قال تعالى **وكان الله**
غفورا رحيما اي لم يزل موصوفا بذلك لا يحجبه
معصية العاصي من المغفرة له بل المغفرة والرحمة
اسبق منه الى عباده **فان قلت** هلا اكتفى بذكر
احد الصفتين عن الاخرى **قلت** لان المغفرة وان
كانت معلولة عن الرحمة لكن الرحمة لا تقيد وجوده

المغفرة ولا بد اذا باستحقاق بعض العصاة شيئا من العذاب
فيجعله الله في اخفه ليكون رحمة كما هو ظاهر
لا يقال فاذا ذكر المغفرة كاف لانا نقول وان كانت
المغفرة معلولة عن الرحمة فلا شبهة ان المغفرة تفيد
خلوص العبد عن الذنب وذلك لا يفيد الا السلامة
من العذاب فقط واما استحقاقه الثواب فلا بد
له من شي وذلك الشي اما العمل بطريق التفضل لا الوجوب
كما هو المذهب الحق او محض الرحمة المخصوصة كما في قوله
صلى الله عليه وسلم لن يدخل احد الجنة بعمله قالوا
ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله
برحمته اي فادخل الجنة بعملي اذا اعتبرناه متصلا
او منقطعا فبالرحمة ولا منافاة بين النصوص الدالة
على ان دخول الجنة بالعمل والنصوص الدالة على
خلافه لان المراد من الاولى ان الدخول بالعمل
بطريق التفضل ومن الثانية ان الدخول ليس لذات العمل

فعلم مما قررناه ان ذكر احدى الصفتين غير كاف
ومما يشعر هنا بان الرحمة تكون مدخلة للجنة
تاخير ذكر الرحمة عن المغفرة ثم اخذ الله يبين ان محض
قصد المنافقين الدنيا فقط لا غير فقال من باب
اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغيب
سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم
لتاخذوها ذرونا اي اتركونا **نتبعكم**
لناخذ منها **يريدون ان يبدلوا كلام**
الله قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي وفائدة
اخراج النهي في صورة النفي المبالغة في النهي حتى
كان المكلف امتثل الامر فاخبر عنه بنفي ما نهي عنه
القايل ذلك هم المتخلفون عن الحديبية قوله اذا انطلقتم
الى مغانم اي غنايم خيبر التي وعد الله بها اهل بيعة الرضوان
من بعض الجزاء الدنيوي على قوة يقينهم وكمال ايمانهم فارادوا
بذلك القول تبديل ما اخبر الله به ووعده من ان غنايم

خيبر لاهل الحديبية خاصة بتبديل وقوع خلاف ما اخبر الله
به منزلة تبديل اللفظ المنزل او يريدون ان يبدلوا
قوله وغضب الله عليهم وذلك انهم لو اتبعوهم لكانوا في حكم
اهل بيعة الرضوان فيكونوا داخلين في حكم قوله تعالى
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ولازم
ذلك كلام الله بالمعنى السابق ومعنى الاضراب الاول
الرد منهم ان يكون حكم الله انهم لا يتبعوهم واثبات
الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم
بامور الدنيا وان كلام اسم للتكليم غلب في الجملة
المفيدة وقرا حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة على قوله
كذلكم اي مثل ما قلتم من عدم اتباعكم ايها المخلفون
قال الله من قبل اي قبل عودنا تهيئكم للخروج وتبرئ
ما يتعلق بالسفر **فسيقولون** اي المخلفون **بل تحسدونا**
على المشاركة في الغنائم ففعلتم ذلك اضراب عما يدل
عليه قوله صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى قل لن

34

تتبعونا كذلكم قال الله من قبل ان تمنعكم عن الاتباع
وان ذلك بموجب امر الله تعالى لا لشيء من عندنا فهم
يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في ذلك
وينسبون اليهم الحسد وهذا القول محتمل لكونهم
قاسوا صفات الاصفيا على صفاتهم لان المؤمنين
كالمرايا لهم تنعكس صفات انفسهم فيرون نفسهم
فيظنون خلافها او انه كان عنادا لعلمهم بطهارة
قلوب المؤمنين من الحسد قال تعالى **بل كانوا**
لا يفقهون الا قليلا اي لا يفهمون الا فهما قليلا وهو
معرفتهم ببعض الامور الدنيوية الدنية ولا حظ لهم
في معرفة ما به نجاتهم كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة
الدنيا فيكون المستثنى من مصدر الفعل المنفي
ونصب قليلا على انه مفعول مطلق ويجوز ان يكون
نصبه على المفعول به فيكون المعنى لا يفهمون شيئا
الا شيئا قليلا ويجوز ان يكون المستثنى منه الواو

اى لا يفقهون من الدين الا قليلا منهم والقلة اما باعتبار
الكمية اذ علم المعاش بالنسبة الى علم المعاد
قليل جدا ولهذا يتعلمه ابناء الزمان فى صغر سنهم
واما باعتبار الكيفية ومن المنفعة قال الله تعالى
قل متاع الدنيا قليل **فان قلت** قد وصف الله تعالى
ما اوتيه النوع الانسانى من العلم بالقلة كما فى قوله
تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فاى ذم فى هذا
المحل لهم على قلة علمهم **قلت** الجواب عنه ان ذلك
وصفه بالقلة بالنظر الى علم الخالق وهذا وصفه
بالقلة بالنسبة الى ما علمه المؤمنون من علمى الدنيا
والاخرة فذموا على عدم علم تعلم المؤمنين فالفرق ظاهر
وهذا الاضراب منه تعالى رد لما تضمنه اضرابهم
من علمهم بحسد المؤمنين وكونه سببا يمنع الاتباع
باثبات الجهل لهم بما يتعلق بالدين وبما فى صدور
المؤمنين من النيات الصالحة وبما فى نفوسهم الزكية

35

المطهرة من الاوصاف الذميمة من الحسد وغيره فلا يرد
انه لا تقابل بين حسد قوم وجهالة قوم ثم لما بين الله
تعالى ما انطوت عليه قلوبهم من النفاق وسوء
تلك الاخلاق والجهل البهيم وعدم الجرى
على النهج المستقيم اخذ تعالى يذكرهم ما يجعله لهم
من العذاب الدنيوى فقال تعالى **قل للمخلفين
من الاعراب** المتخلفين عام الحديبية احتيارا
وكرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة فى الذم بشاعة
التخلف **ستدعون الى قوم اولى** اصحاب **بأس
شديد** البأس المجاهدة للعدو وفى القاموس
البأس العذاب والشدة لكثرة المقاتلين وقوتهم
ويجوز ان يكون صفة لقوم نظرا الى لفظه وتنوينه
للتعظيم والمراد بالقوم هم بنو حنيفة قوم مسيلمة
الذين حاربهم جدنا ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه
لان مشركى العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام

وصفه بالشدة

او السيف وقيل فارس والروم وهذا دليل على خلافة
جدنا ابى بكر رضى الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب فى
زمنه صلى الله عليه وسلم لقوله لن تخرجوا معى ابدا
وقيل هم فارس والروم ومعنى **او يسلمون**
اى او ينقادون لانهم نصارى وفارس مجوس تقبل منهم
الجزية وعن قتادة رضى الله عنه انهم ثقيف وهوازن
وكان ذلك فى ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان صح ما ذكر فمعنى لن تخرجوا معى ابدا اى ما دمتم على
النفاق والاضطراب فى الدين وانهم كما قال مجاهد
رضى الله عنه هم الموعد انهم لا يتبعون رسول الله صلى الله
عليه وسلم المتطوعين لا نصيب لهم من المغنم والاول
عليه الاكثر لاستغنائه عن التاويل ولعمرى
لقد ثبت الصديق فى ذلك المشهد حيث قال له عمر
رضى الله عنه اما ترى من حولنا من الاعراب قد ارتدوا
فلو اخرت القتال الى ان يقوى الاسلام لكان اولى

فقال وقد صكه صكة هوى منها الى الارض اجبار فى الجاهلية
خوار فى الاسلام والله لو منعونى عقال بعير لقاتلتهم عليه
قال عمر رضى الله عنه فلما شرح الله صدر ابى بكر علمت انه
الحق وعن الصديقة رضى الله عنها قالت مرج حبل
الاسلام فانتدب لذلك ابى والله لولا ابى ما عبد الله
فى الارض بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك
جميعا بعزمه على قتال اهل الردة ثم بين تعالى ان فى طاعته
تعالى مزيد الثواب فضلا عن اسلامه من العقاب
فقال تعالى **فان تطيعوا** الى قتالهم **يؤتكم الله اجرا
حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما**
اى مولها المراد من الاجر الحسن الغنيمة فى الدين والنعيم
الذى فى الآخرة وفى قوله تعالى كما توليتم من قبل
تاكيد لما سبق من ابطال معذرتهم وفسادها قال
العضد **فان قلت** فما معنى سببية الفعل للعقاب
وانتم لا توجبون العقاب كما تقول المعتزلة **قلت**

معناه انه لو عوقب به وقيل انما عوقب لذا للالزام
العقل ولم يستنبح في مجاري العادات **فان قلت**
قد علمت مما سبق ان المخلفين كانوا من المنافقين
فكيف يؤتون الاجر الحسن باطاعتهم بالجهاد **قلت**
المراد اطاعة الرسول من حيث هو رسول فيلزم الايمان
والرجوع عن الكفر والنفاق ومعلوم ان طاعة
الرسول طاعة لله تعالى قال تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله **لا يقال** الداعي ابو بكر الصديق
فلا يأتي ما قلتم **لانا نقول** ما دعى اليه ابو بكر
الصديق هو ما امره الله ورسوله به والاطاعة كالطاعة
الانقياد والتولي قد يجيء بمعنى الادبار والاعراض
والثاني قد يتعدى بعن ثم لما كان مدلول المخلفين
يعم الصحيح والسقيم اخذ الله يبين ان التخلف المذموم
هو الذي بلا سبب يدعو اليه ليكون ذلك ذما
للمنافقين وقرة عين للضعفاء من المؤمنين

وجبن الهم حيث لم يدخلوا فيمن ذم الله تعالى فقال
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
في ترك الجهاد فافاد نفي الحرج عن من عذره بالتخلف
فان قلت لم لا ذكر الحرج في الاخير فقط فيكون
راجعا الى المتعاطفات جميعا بان يقال ليس على الاعمى
ولا على الاعرج ولا على المريض حرج **قلت** انما عدل
عن هذا مع كونه اخصر لان كل صنف ممن انتفى عنه
الحرج مغاير بسببه للاخر ومختلف اختلافا ظاهرا
قوة وضعفا فكذلك افرد كل صنف بنفي الحرج
عنه ليفيد تعداد النعم مع اختلاف اسبابها ولانه اظهر
في حضور معنى نفي الحرج عند العقل في كل واحد
وذكر هذه الاوصاف الثلاثة مقتصرا عليها لان
العذر اما ان يكون لاختلال في عضو او باختلال في القوة
والذي بسببه اختلال العضو اما ان يكون الاختلال في العضو
الذي به الوصول الى العدو والانتقال في مواضع القتال

او فی العضو الذی تتم به فایدة فی المعرکة والوصول الی
العدو والاول هو الرجل والثانی هو العین
لان بالرجل تحصل الانتقال وبالعین تحصل التحفظ
والطلب والهرب واما الاذن والفم واللسان فلا
مدخل لها فی شیء من الامرین والحرج الاثم یقال مکان حرج
ای ضیق کثیر الشجر فسمی الاثم به لان قلب صاحبه ضیق
بسبب الاثم قال تعالی ومن اعرض عن ذکری
فان له معیشة ضنکا والاعمی الذی ذهب بصره والاعرج
الذی اصابه فی احدی رجلیه شیء والمریض عام فذکره
من عطف العام علی الخاص قدم الاولان الخاصان
لظهور العذر فیهما ثم لما بین حال اهل العذر اخذ یبین حال
من لا عذر له واطاع فقال ومن یطع الله ورسوله
یدخله جنات تجری من تحتها الانهار قال العلامة
البیضاوی فصل الوعد واجمل الوعید مبالغة فی الوعد
لسبق رحمته ثم جبر ذلک بالتکریر علی سبیل التعمیم فقال

تعالی ومن یتول یعذبه عذابا الیما اذ الترهیب
هاهنا انفع من الترغیب یعنی جبر النقصان الحا[illegible]ل
فی جانب الوعید من جهة اجماله بتکریره علی [illegible]یل
التعمیم اما تکریره فلان حاصل [illegible] له
وان تتولوا الی آخره وقوله ومن یتول الی آخره
لیس الا ان المتولی له عذاب الیم الا انه زید فی الثانی
العموم الحاصل من الشرطیة ولا شک ان التکریر
یوجب التأکید فالتأکید الحاصل فی جانب الوعید
فی مقابلة التفصیل الحاصل فی جانب [illegible]ید فی مقابلة
هذا ما یحل الیه کلام العلامة البیضاوی السابق لکن
قد یقال مرتبة الوعد بالتفصیل باق[illegible] التکرار
فی جانب الوعد موجود والعموم اللاحق من الشرطیة
فیهما فعلی هذا الوعد مرتبة باقیة ثم عقب ذکر من
ذلک المزید وهو رضی الحق المنصب علیهم وف[illegible]
الرضوان فقال تعالی مذکرا بوقت تلک المبایعة

ذلک الوعید عما افاضه
علی المومنین [illegible]

وحسن تلك المتابعة **لقد رضي الله عن المؤمنين**
اذ يبايعونك تحت الشجرة فالظرف الاول
متعلق برضي والثاني مما اضيف اليه الاول ويحتمل
ان يكون حالا من ضمير المفعول لان النبي صلى الله عليه وسلم
كان جالسا في اصلها والرضى هنا بمعنى اظهار
النعمة وموصفة فعل لا صفة ذات ولذلك قيد
بالزمان اذ صفات الذات لا تتقيد به ومعنى التقييد
يرجع الى اظهار ذلك الاثر الذي هو النعمة والمعنى
سبق قدرته الرضى عن المؤمنين مقيد ظهوره بوقت
المبايعة ولكن الاول اقرب واصل القصة ان النبي
صلى الله عليه وسلم حين نزل بالحديبية بعث خراش بن امية
الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به وقصدوا
قتله فمنعه الاحابيش جمع احبوش وهي فواج من قبايل
شتى ثم رجع دعا عمر رضي الله عنه ليبعثه فقال اني اخافهم
على نفسي لما اعرف من عداوتي اياهم وليس بمكة من بني كعب

من يغضب لي ان اوذيت فارسل عثمان بن عفان فان
عشيرته بها وانه يبلغ ذلك لك على ما تريد فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثمان فارسله الى قريش
وقال له اخبرهم انا لم نات لقتال وانما جئنا عمارا
وادعهم الى الاسلام وامره ان ياتي رجالا بمكة
مؤمنين ونساء مؤمنات فيدخل عليهم ويبشرهم
بالفتح ويخبرهم ان الله اوشك ان يظهر دينه بمكة
حتى لا يستخفى فيها بالايمان فانطلق عثمان الى قريش
فارتهنه المشركون ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى البيعة ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا ان روح القدس قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامر بالبيعة فاخرجوا على اسم الله فبايعوه فثار
المسلمون الى البيعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو تحت الشجرة فبايعوه على ان لا يفروا ابدا فرعبوا
من ذلك فارسلوا من كانوا ارتهنوه من المسلمين

ودعوا الى الموادعة والصلح واخرج البيهقى فى الدلائل
عن الشعبى قال لما دعا النبى صلى الله عليه وسلم الناس
الى البيعة كان اول من انتهى اليه صلى الله عليه وسلم
ابو سنان الاسدى فقال ابسط يدك ابايعك فقال
النبى صلى الله عليه وسلم على م تبايعنى قال على ما فى نفسك
وعن مسلمة بن الاكوع قال بينا نحن قايلون اذ نادى
منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس
البيعة البيعة نزل روح القدس فثرنا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو تحت الشجرة شجرة سمرة فبايعنا
فبايع لعثمان باحدى يديه على الاخرى فقال الناس
هنيئا لعثمان يطوف بالبيت ونحن هنا فقال صلى الله
عليه وسلم لو مكث كذا وكذا ما طاف حتى اطوف
وروى نافع عن عمر رضى الله عنه بلغ عمر ان ناسا ياتون
الشجرة التى بيع تحتها فامر بها فقطعت لعله وقع ذلك
منه خشية على الناس لقربها لعهد بالجاهلية والله اعلم

وقيل الشجرة كانت من السدر روى انه كان مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الف واربعمائة فى يوم الحديبية
وقال لهم صلى الله عليه وسلم انتم خير اهل الارض وقيل
كانوا الفا وثلاثمائة وقيل وخمسمائة واخرج احمد
وابو داود والترمذى ومسلم عن ام قيس عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد ممن بايع
تحت الشجرة **فان قلت** فاى فضل للعشرة عليهم **قلت**
خبر دخول العشرة الجنة متواتر وهذا احاد ظنى
وبتسليم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك
قطعا فى اهل الشجرة فهناك مناقب لهم تقتضى رفعة
الدرجات لهم على اهل الشجرة ليس هذا محل ذكرها واخرج
البخارى عن الاكوع قال بايعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم تحت الشجرة قيل على اى شى بايعت يومئذ
قال على الموت وعن قتادة قال بايعوا على ان لا يفروا
وبين الروايتين تفاوت ظاهر ويمكن ان يجاب بان علم الفرار

يلزم منه اما الموت واما النصر لظهور ان كلا من الفريقين
لا يترك الاخر بدون ظهور احد الفريقين على الاخر فهو
لزوم عرفي فكانت المبايعة عليه مبايعة على الموت
لا يقال كيف يلزم اصحابه الموت مع انه يريد بقاءهم
ومع قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم التهلكة لانا
نقول المراد حملهم على الثبات في القتال لا حصول
الموت ولا بد واخرج الطبراني عن مالك بن ربيعة
السلولي انه شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الشجرة ويوم رد الهدي معكوفا ان يبلغ محله وان
رجلا من المشركين قال يا محمد ما حملك على ان تدخل
هؤلاء علينا ونحن كارهون فقال هؤلاء خير منك ومن
اجدادك يؤمنون بالله واليوم الآخر والذي نفسي
بيده لقد رضي الله عنهم واللام في المؤمنين يحتمل ان تكون
للعهد فترجع الى اهل الشجرة ويحتمل رجوعها للمؤمنين
جميعا فتكون للاستغراق ويكون من لم يحضر ذلك الموطن

في بركتهم في حكم من حضر كرامة لهم لانهم خلاصة
المؤمنين وسراة الموحدين لا حاجة في صحة رجوع
الضمير الى بعض افراد العام لا يوجب تخصيصا كما قال
الائمة الى استخدام ورجوع الضمير الى بعض افراد العام
لا يوجب تخصيصا كما قرره الائمة ثم بين تعالى ان
ما صدر منهم ما صدر الا والايمان في قلوبهم وقر
واستقر فقال تعالى فعلم ما في قلوبهم اي من
الاخلاص والوفا بما يحب الله في قلب عبده المؤمن
عند مبايعة حبيبه وخير خلقه في امر دينه وعن
ابن عباس في قوله فعلم ما في قلوبهم فانزل
السكينة عليهم قال انما انزلت في اهل
الوفا فكان نتيجة ذلك ان انزل السكينة بالمعنى
السابق من الطمانينة وسكون النفس الى القتال
حتى كانها مطلوبة عليهم فان قلت قال هنا عليهم
وقال فيما تقدم في قلوبهم فهل هنالك فرق بينهما قلت

نعم وذلك ان السكينة المنزلة ثمة لزيادة الايمان ومحله
القلب وهنا الشجاعة والهيبة فناسب ان تكون عليهم
كالستر بالبهائم الكفار **فان قلت** مامعنى تسبب
وجود العلم عن المبايعة مع ان علمه قديم **قلت** تعلق
علمه بذلك موجودا في قلوبهم وذلك حادث لا ينافي
التجدد فلا شبهة اذا ان تعلق العلم بما في نفوسهم
من الاخلاص بعد تحققه بقلوبهم **فان قلت** اذا
كان تعلق علم الله بالمعلومات بعد تحققها لزم عدم
التعلق قبل وجودها واذا لم يتعلق العلم بها لزم
الجهل **قلت** للعلم تعلقان تعلق قبل وجود المعلوم
وهو لازم ذات العلم فكان قديما وتعلق بعد وجود
المعلوم فهو حادث اما التعلق الاول فهو عبارة
عن الاحاطة بالمعلوم من حيث انه قد تحقق ودخل
في الوجود ثم ان تعلق العلم نسبة بين العلم والمعلوم
والتعدد فيهما انما نشأ من جانب المعلوم لكثرة المعلومات

سيوجد في الوقت الذي خصصته
الارادة الازلية واما التعلق الثاني
فهو عبارة عن الاحاطة به من حيث انه
صح

واما باعتبار ذات العلم فلا يتصور التعدد لانه واحد
فان قلت لا يحسن عطف الماضي على المضارع فكيف عطف
قوله فعلم على قوله يبايعونك **قلت** هنا نكتة وهي الاشارة
الى تقدم العلم باعتبار ذاته وتعلقه الاول مع قطع
النظر عن التعلق الثاني الحادث ويحتمل ان يكون قوله
تعالى فعلم معطوفا على قوله رضي والفاء حينئذ كهي في قوله
ونادى نوح ربه فقال وذلك لان مدخول الفاء وما
بعدها بيان للرضى الذي هو اظهار النعمة اذا علم ذلك
فان قلت فهل بين علم الخالق والمخلوق تفاوت
اولا **قلت** نعم بين علم الله تعالى وعلم العبد تفاوت
وذلك في خواص ثلاث احدها المعلومات في
كثرتها فان معلومات العبد وان اتسعت فهي محصورة
في قلبه فاني تناسب ما لا نهاية له الثاني ان
الانكشاف الحاصل للعبد وان بلغ النهاية لا يصل الى
الانكشاف في جانب علم الرب فان مشاهدة

العبد للاشيا كمن يرى من ستر رقيق ولا ينكر تفاوت رتب
الانكشاف فان للمشاهدات حالات مختلفة باعتبار
الاوقات الا ترى الى الانكشاف الحاصل وقت الضحوة
والحاصل وقت الاسفار ولا شبهة ان البصاير
كالابصار والثالث ان علم الله بالاشيا غير مستفاد
من شي بل الاشيا مستفادة منه تعالى وعلم العبد بالاشيا
تابع لها فان اعتاص عليك فهم هذا الامر فانسب علم
متعلم الشطرنج الى علم واضعه فان علم الواضع هو سبب
وجود الشطرنج ووجود الشطرنج هو سبب علم المتعلم
وعلم الواضع سابق على الشطرنج وعلم المتعلم مسبوق
ومتاخر عن الشطرنج فكذلك علم الله سبحانه وتعالى
بالاشيا سابق عليها وسبب لها وعلمنا بخلاف ذلك
ولله المثل الاعلى ثم اخذ الله يبين بعض اثار انزال السكينة
عليهم فقال تعالى **واثابهم فتحا قريبا ومغانم**
كثيرة ياخذونها في القاموس اثابه الله مثوبة

اعطاه اياه والمثوبة الخير كالثواب والمعنى واثابهم الله
عن علمهم هذا الفتح القريب كخيبر ومكة وتناوله الخيبر
اقرب لو قوعه اثر هذه القضية وتبين ان ذلك الفتح
اشتمل على مغانم كثيرة جمع مغنم وهو المال الماخوذ من
الكفار بقتال او ايجاف وتقدم ان الفتح اخذ البلد
عنوة فلا تلازم بين الفتح والغنيمة فيجوز ان توخذ
البلد عنوة فلا تلازم بين الفتح والغنيمة فيجوز ان توخذ
البلد ولا مال بها والمغانم التي حصلت بخيبر كانت
من الاموال والعقار قسمها النبي صلى الله عليه وسلم
بين اصحابه وقوله ياخذونها انما صرح بالاخذ
وان كان معتبرا في مفهوم الغنيمة لمزيد الاهتمام بشانه
ولانه من جملة ما خصت به امته صلى الله عليه وسلم اذ
المغنم في الامم السابقة كان يجمع ويحرق وما كان
ياخذه العسكر **وكان الله عزيزا حكيما** غالبا على امره
حاريا على الحكمة اي لم يزل متصفا بذلك

وكرر ذكر العزة والحكمة فى هذه السورة كثيرا
تنبيها على ان ما هو العمدة فى الدلالة على نجاز الوعد
من الفتح والنصر انما هو لحكمة بالغة تسلية للمؤمنين
ثم بين تعالى ان ما وعده لم ينقيد بما حصل من فتح
خيبر بل هناك فتوح ومغانم لا تنقضى الى يوم القيامة
فقال تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها
من الفتوحات قال مجاهد المغانم الكثيرة التى وعدوا
بها ما ياخذونه الى الموت فعجل لكم هذه
يعنى مغانم خيبر يقال عجل له اى اسرع اليه به وفى
القاموس العجل والعجلة محركتين السرعة ثم بين النعمة
التى بها الامن بقوله وكف ايدى الناس عنكم
فى عيالكم لما خرجتم وهمت بهم اليهود فقذف الله فى قلوبهم
الرعب قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى اهل مكة
بالصلح وعن ابن جريج قال الحليفان اسد وغطفان
عليهم عيينة بن حصين معه مالك بن عوف واهل خيبر

اية للمؤمنين

على بئر معونة فالقى الله فى قلوبهم الرعب فانهزموا ولم
يلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والكف المنع ولتكون
هذه الكفة او الغنيمة ولتكون امارة يعرفون بها
انهم من الله بالذروة العاليه والرتبة المتعاليه
وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة فى
المنام ورؤيا الانبيا وحى فتاخر ذلك الى السنة
القابلة فجعل فتح خيبر علامة لصدق رؤياه
وقيل امارة لصدق الرسول صلى الله عليه وسلم
والرسول صلى الله عليه وسلم وعدهم فتح خيبر حين
رجوعهم من الحديبية والمعنى الاول هو الاظهر
قال العلامة البيضاوى والعطف على محذوف
هو علة لكف او عجل مثل ليسلموا اوليأخذوا او علة
لمحذوف مثل فعل ذلك والاولى انه معطوف على محذوف
تقديره لتشكروه ويهديكم صراطا مستقيما
هو الثقة بالله والتوكل عليه وانه ناصرهم او يثبتكم

على الهداية ونقرب هذا الاخير ما بيناه سابقا من ان بعض
المؤمنين اضطربوا بسبب صدهم عن المسجد الحرام وصد
هديهم ان يبلغ محله ورد بعض المسلمين الى الكفر بموجب
الصلح وعدم حصول رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم
وما اشبه ذلك حتى انكر بعضهم الفتح وقال ما قال
وزلزلوا كما قال الله تعالى عن الامم الماضية مستهم
البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين امنوا معه متى نصر الله فلما ضاقت صدورهم
وكادت تزل اقدامهم واثابهم الفتح القريب والمغانم
الكثيرة وكف ايدي الناس عنهم **واخرى**
اي ومغانم معطوفة على هذه او منصوبة بفعل
يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتدا
لانها موصوفة وجرها باضمار رب والاحتمال
الاول بعيد من حيث اللفظ والمعنى اما من حيث
اللفظ فللفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجملة

انزل الله السكينة عليهم

اجنبية لان قوله وكف ايدي الناس عنكم معطوف
على وعدكم الله وقد عرفت حال الاخيرين واما
من حيث المعنى فلان المعجل ضد المؤجل والظاهر ان
المراد بقوله واخرى مؤجل على ما سيجيء بيانه فكيف
يعطف على معمول عجل وعلى الاحتمال الثاني فقوله
قد احاط الله بها اما صفة بعد صفة لاخرى
او حال من ضمير عليها وعلى احتمال الرفع فالخبر قوله قد
احاط الله بها وعلى الجر فلم يبعد واصفة وقد احاط
متعلق رب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال المراد
هذه الفتوح التي تفتح اليوم وقال بعضهم غنيمة الروم
وقيل هوازن وقيل فارس **لم تقدروا عليها**
بعد لعدم تحقق استعدادها وكونها من هو فيه
بوقتها وقيل المعنى لم تقدروا على علم وقتها وقوله تعالى
قد احاط الله بها اي علم انها ستكون لكم او استولى
فاظفركم بها ومتى مغانم هوازن فكانه من باب

ذكرا للملزوم وارادة اللازم لان المحيط بالشيء يكون مستوليا
عليه عادة خصوصا اذا اضيفت الاحاطة الى من
له الاستيلاء التام على سائر الممكنات من جميع الجواهر
والعرضيات وفي الاتيان بقد في جانب الاحاطة
الايذان بانها كانت في غاية المنعة حتى ان ادعاء
حصول مثلها مما يشك فيه فيحتاج الى تحقيق لان
خبره تعالى مما يقبل ريبا وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال قد احاط الله بها فقضى الله بها انها لكم
فان كل ما هو مقضي محاط بها لا محالة وعن الزبير
ابن العوام لما قدم البصرة دخل بيت المال فاذا هو
بصفرا وبيضا فقال يقول الله تعالى وعدكم
الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه
وكف ايدي الناس عنكم ولتكون اية للمؤمنين
ويهديكم صراطا مستقيما واخرى لم تقدروا عليها
يعني ما وجدنا اذ ذاك في بيت المال وعن مجاهد

هي ما كان الى يوم القيامة وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى
هي فارس والروم وقيل فتح فارس وعن قتادة انها
مكة وقيل غير ذلك ولما كانت المنة بما سيقع في غاية
العظمة والجلال وانه لا يقدر على ايجاد مثلها الا شديد
المحال عقب ذلك بقوله **وكان الله على كل شيء قديرا**
من الممكنات عقلا بخلاف المحال العقلي فانه عاجز عن
تعلق فاعلية الحق تعالى فالنقص في القابل لا في الفاعل
هذا اذا اردنا بالشيء ما هو اعم من الموجود الخارجي
اما اذا اردنا ما هو موجود خارجا فقط كما هو مذهب
المتكلمين فلا استثناء فان المعدوم لا يسمى شيئا
عندهم قال العلامة البيضاوي لان قدرته ذاتية
لا تختص بشيء فهو كالدليل الى ما ذكر قبله مما يتفرع
على قدرته الباهرة ولذلك اتى بالاسم الظاهر الجامع
دون ان ياتي بالضمير وعدل الى صيغة المبالغة
عن قادر الى قدير فهذه الحيثيات تفيد الاحاطة

الثابتة ثم بين تعالى انهم ولو قاتلوهم او ناصلوهم لعجزوا
عن محاربتهم ولحصلت الغلبة لهم بما يلقيه الله في قلوبهم
من الرعب الآخذ على اسماعهم وابصارهم فقال تعالى
ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة او من حلفاء
اهل خيبر لغلبوا وانهزموا اللازم ذلك لقوله
تعالى لولوا الادبار اى لانهزموا هزيمة
شنيعة لان المنهزم يحول دبره الى وجه العدو وعند
الفرار وفي القاموس ولى تولية ادبر فذكر الادبار
لدفع توهم المجاز ومحض قصد الحقيقة كما في قوله
تعالى ولا طائر يطير بجناحيه الآية ولانه محط
حال التشنيع في الهزيمة ثم بين ان هذا الفرار
لا الى جهة ولا معتصد فقال تعالى ثم لا يجدون وليا
الولي معناه مختلف يطلق ويراد به القريب والصديق
والنصير والسلطان والظاهر ان المراد هنا
الصديق او القريب لان النظير الذي له سلطان

ذكره بقوله ولا نصيرا فان قلت المناصرة
تكون من القريب والصديق والسلطان قلت
نعم هذا مسلم في اصل المناصرة الا انه على جهة هذه
المبالغة ظاهرة في ذي القوة والمنعة كالسلطان
وما قرب منه لا ما يحصل منه اصل المناصرة ولذلك
عطفه عليه عطفا يقتضي المغايرة كانه عبر داخل
في مفهوم ما سبق وكلمة ثم للدلالة على انهم لا يجدون
الولي في وقت من الاوقات ولا في حال من الحالات
ولو مضى زمن يقتضي التامل والتدبر وفيه
الايذان بالتفاوت بين زماني الانهزام وعدم
وجدان الولي والنصير للايذان بما داخل
قلوبهم من حرارة الهزيمة وفي هذا تقطيع لحالهم
حيث تقطعت بهم الاسباب والمراد من الشرطية
المذكورة دفع توهم وهن نشا عنه الصلح بل هم
لو قاتلوا الكفار لانهزموا من المؤمنين فان قلت

هلا وقعت تلك المقاتلة وحصل فى ذلك الانهزام
المستلزم لدخول مكة لان ذلك يكون ابلغ
فى صدق الرسول صلى الله عليه وسلم **قلت** لم يكن فى ذلك
الامر وهو ان الله لم ياذن فيه وعدم ذلك الاذن ليظهر
تفاوت ايمان المومنين ومراتب الراسخين من الصديقين
كما قال تعالى وما كان الله ليذر المومنين على ما انتم
عليه حتى يميز الخبيث من الطيب لا يقال ففى الاية
الايذان بان ذلك الانهزام لا يحصل للكفار الا بان
يبدا المشركون بالقتال لانه قال ولو قاتلكم
الذين كفروا ولا يلزم من ذلك ان المومنين لو قاتلوا
الكفار ابتداء لحصلت النصرة لهم فكان حصول
الانهزام متقيدا بان يبدا الكفار فى تلك القضية
بالمحاربة نظير ما روى ان المومنين نزلوا باحد فاستشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد دعا عبد الله
ابن ابى ولم يدعه قبل فقال هو والانصار ما خرجنا

منها لعدو الا اصاب منا وما دخل علينا عدو فيها الا
اصبنا منه لانا نقول ليس فى الاية ايذان بذلك
اذ مبنى دالة على المفاعلة ومبنى دالة على الابتدا
وذلك ان الله ناصر المومنين سواء بدا او بقتال
الكفار او بدا ثم به الكفار لحصول البغى باصل الكفر
منهم المقتضى للقتال وقضيته احد لا تشاهد فيها
وذلك انهم حكوا الحال السابقة فى زمن الجاهلية
واما ما وقع فى ذلك اليوم فمن المخالفة له صلى الله
عليه وسلم ولان عادة الله جرت باستيصال اهل
البغى والعناد ومحو اثار اهل الفساد وهذه
عادة الله مع عباده المخلصين فلذلك قال **سنة**
الله التى قد خلت اى طريقته التى مضت **من قبل**
اى من قبل بعثتك سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن
مضى من الامم السالفة كما قال تعالى كتب الله
لاغلبن انا ورسلى وسنة منصوب بفعل منه كسن الله

واصله سن الله سنة حذف الفعل واضيف المصدر
الى الفاعل وفى اضافته الى ذاته القديمة
الرد على من زعم ان النصرة تكون بسبب الكواكب
واتصالها وكونها فى اقبالها او عاشرها او حادى
عشرها الى غير ذلك ثم بين ان هذه العادة اذا
تاملها متامل لا يجد لها ناقضا فقال تعالى
ولن تجد لسنة الله تبديلا التبديل التغيير
وهذا مع ما قبله تعليل لمضمون السابق وهو غلبة
المومنين عند مقاتلة الكفار فان قلت قد نشاهد
ان بعض سرايا المومنين تنهزم من الكفار قلت
الجواب عن هذا ان ما يقع من هزيمة بعض المومنين
من الكفار لعدم جريهم على ما امر الله فى ذلك الحرب
كما فى قضية احد فحاصله ان السنة اذا راعى
المومنون الاوامر الالاهية فامتثلوا والنواهى فانكفوا
عنها حصل لهم الظفر وقضوا من السعادة الوطر

ثم اخذ الله تعالى يقرر امرا دالا على تصرفه فى القلوب
بما يلقيه فيها من اقدام واحجام فقال تعالى وهو
الذى كف ايديهم اى كفار مكة عنكم
بما الحقهم من الخوف والرعب من مقاتلة المومنين
وايديكم عنهم بعدم الاذن فى القتال
والرجوع الى الصلح ببطن مكة اى داخلها
من بعد ان اظفركم عليهم اى اظهركم عليهم
واخرج احمد والنسائى والحاكم وصححه عن عبد الله
ابن مغفل قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى اصل الشجرة التى قال الله تعالى فى القران وكان
يقع من اغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى ابن ابى طالب وسهيل بن عمرو بين يديه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى اكتب
بسم الله الرحمن الرحيم فاخذ
سهيل بيده فقال ما نعرف الرحمن ولا الرحيم اكتب فى

قضيتنا ما نعرف قال اكتب باسمك اللهم وكتب
هذا ما صالح عليه محمد رسول الله اهل مكة فامسك
بيده وقال لقد ظلمناك ان كنت رسوله اكتب في
قضيتنا ما نعرف فقال اكتب هذا ما صالح عليه
محمد بن عبد الله فبينا نحن كذلك اذ خرج علينا
ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا الى وجوهنا
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله باسماعهم
ولفظ الحاكم بابصارهم فاخذناهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد جئتم في عهد احد وقد جعل
لكم احد امانا فقالوا لا فخلى سبيلهم فانزل الله وهو
الذي كف ايديهم عنكم وروى ان عكرمة بن ابي جهل
خرج في خمسماية الى الحديبية فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد هذا ابن عمك قد
اتاك في الخيل فقال خالد انا سيف الله وسيف
رسوله فيومئذ سمي سيف الله (يا رسول الله) ارم بي ان شئت

فبعثه على خيل قليل لعكرمة فهزمه حتى ادخله حيطان
مكة ثم عاد في الثانية فهزمه حتى ادخله حيطان
مكة ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى ادخله حيطان
مكة فانزل الله وهو الذي كف الاية فكف الله النبي
والمؤمنين من بعد ان اظفركم عليهم قال السيد
معين الدين وما ذكر من ان ابن ابي جهل خرج في عسكر
يوم الحديبية الى اخره فيه شيء وذلك ان خالد بن الوليد لم
يكن اسلم بل كان طليعة للمشركين يومئذ على ما رواه
البخاري في حديث طويل وقيل كان يوم الفتح قال
الامام البيضاوي وهو ضعيف لان السورة نزلت
قبله ولك ان تقول كون السورة نزلت قبله لا يضعفه
فهو يكون من باب الاخبار بالغيب كقوله تعالى انا فتحنا
لك على انه يريد فتح مكة ويكون الاخبار به بصيغة
الماضي لتحقق وقوعه **وكان الله بما يعملون**
بالياء والتاء **بصيرا** اي لم يزل متصفا بذلك

البصير في جانب الباري هو الذي يشاهد ويرى
حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى وابصاره تعالى
منزه عن ان يكون بجارحة ذات اجفان وتقدس
عن ان يرجع الى انطباع الصور والالوان في
خاطره كما ينطبع في حدقة الانسان فان ذلك
من التغير والتاثر المقتضي للحدثان واذا تنزه عن ذلك
كان البصر في حقه تعالى عبارة عن صفة ينكشف بها
كمال نعوت المبصرات فصفة العبد من الابصار
بالنسبة الى صفة الرب كالعمى بالنسبة الى البصر
فان غاية ما ينشا عن ابصار العبد مشاهدة ظواهر
المرئيات لا على وجه الاحاطة والانكشاف التام
بما لا حجاب له لرب السموات والارض فالمعنى
ان الله لا يخفى عليه من اعمالكم شي البتة ففيها
البشارة للطايعين والنذارة للعاصين ثم اخذ
الله تعالى يبين شناعة حالهم بما استقر في نفوسهم

من كفرهم بربهم وما اقترفوه من السيئات مضافا لذلك
فقال تعالى **هم الذين كفروا وصدوكم عن
المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله**
استيناف ملايم للمحل وذلك انه تعالى لما ذكر انه كف
ايدي المومنين عنهم زعاظ ظان ان ذلك لعدم اجرامهم
وعدم استحقاقهم للقتل بل هم الذين كفروا وصدوكم
الى اخره فاستبان ان تاخير تعذيبهم بايدي المومنين
لحكمة وتلك الحكمة ان جماعة من المومنين
والمومنات من اهل مكة بقوا مع المشركين لكونهم
مستضعفين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون
سبيلا لئلا تطاهم الغزاة من غير علم فيصيبهم
معرة من جهتهم كما يدل عليه قوله تعالى
ولولا رجال الاية والهدي منصوب بالعطف على
معمول صدوكم اي وصدوا الهدي ويجوز فيه الرفع
على وصد الهدي والجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم

عن نحر الهدى ومعكوفا حال من الهدى وان يبلغ محله
على تقدير من ان يبلغ ويجوز ان يكون بدلا من الهدى
بدل اشتمال اى صدوا بلوغ الهدى والصد المنع
والمسجد معروف وفعله من باب نصر اسما كان او
مصدرا الا انهم التزموا مسجد ومطلع ومشرق
ومسقط ومغرب ومجزر ومسكن ومرفق ومنبت
ومنسك كسر عين هذه الصيغ والفتح جايز وان لم يسمع
كما قاله صاحب القاموس والحرام المسجد المحرم
اى محرم فيه القتال وممنوع عن الظلمة ان يتعرضوا له
او منع الله فيه امورا منها الصيد وعدم جواز
احتشاش نباته وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال اساس المسجد الحرام الذى وضعه ابراهيم من الحزورة
اى مخرج سيل جياد الى المسعى وعن عطاء بن ابى رباح
المسجد الحرام الحرم كله وذكر الازرقى قال
الامام الرازى عن ابن عباس رضى الله عنهما الحرم كله مسجد

وهذا قول الاكثرين انتهى وقد يطلق ويراد به الكعبة
ومنه قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وقوله
معكوفا اى محبوسا ان يبلغ محله اى مكانه المعهود
بالنحر فيه وهو منى لا مكانه الذى لا يجوز ان ينحر فى غيره
والا لما نحر النبى صلى الله عليه وسلم حيث احصر وفى
هذه الاية نوع تجهيل لعدم رعاية حرمة الحرم لان من
حرمته ان لا يمنع قاصده وان ينحر هديه به وهذا
معتقدهم الا انه منعتهم انفة الكبر ودعتهم حمية
الجاهلية الى ان فعلوا ما فعلوا من خلاف معتقدهم
اشعارا بعلة احرى لكف المؤمنين عن قتالهم حيث
حفظوا حرمة الحرم وتركوا المقاتلة به مع انهم مجرمون
فان قلت ما النكتة فى تعريف المسند اليه
والمسند بالضمير والموصول **قلت** اما الاضمار
فهو مقتضى الظاهر لسبق ذكر المرجع وهو كفار مكة واما
الموصول فللاشارة الى احاطة علم الله المخاطبين بكونهم

مستحقين للعقوبة فلا ينبغي لاحد من المومنين ان يتوهم
ان كف ايدي المومنين عنهم وتاخير امرهم لمصلحة لهم بل لما
يدل عليه قوله **ولولا رجال مومنون ونسا مومنات**
لولا كلمة بنفسها عند البصريين والاسم بعدها مبتدا
خبره محذوف وجوبا اذا كان من الافعال العامة
لانه التزم في موضعه جواب لولا مع القرينة الدالة
عليه وهي لفظة لولا اذ هي موضوعة لانتفاء الثاني
وهو مضمون الجواب لوجود الاول وهو مضمون مدخولها
لولا فالوجود على سبيل الفرض معتبر في مدخولها لاقتضائها
اياه فلا حاجة الى ذكره وليس لو الداخلة على لا لان
الفعل بعد لو اذا اضمر وجوبا فلا بد من الاتيان بمفسره
وقال الكسائي الاسم بعدها فاعل لفعل المقدر
فمعنى لولا رجال لو لم يوجد رجال يعني المستضعفين
من المومنين بمكة بين الكفار كسلمة بن هشام
وعياش بن ابي ربيعة وابي جندل بن سهيل واشباههم

وعن ابي جمعة انه قال قاتلت النبي صلى الله عليه وسلم اول
النهار كافرا وقاتلت معه اخر النهار مسلما وفينا نزلت
ولولا رجال مومنون ونسا مومنات وكنا تسعة نفر
سبعة رجال وامراتين وصيغة الجمع بتاويله بما فوق
الواحد كما قال به بعضهم **لم تعلموهم** اي لم تعرفوهم
باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين والجملة صفة الرجال
والنسا جميعا وقوله **ان تطاوهم** بدل اشتمال من رجال
ونسا كانه قال رجال ونسا غير معلومين لوطيهم او من ضمير
في تعلموهم والمراد توقعوا بهم قال الزمخشري الوطي الدوس
وهو عبارة عن الايقاع والابادة يقال اوقع بهم اي
بالغ في قتالهم والابادة الاذهاب والاهلاك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخر وطية وطيها
الله بوج **فتصيبكم** خطاب للمومنين **منهم**
من جهتهم **معرة** مكروه والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه
اذا ادهاه ما يكرهه ويشق عليه وذلك المكروه كوجوب الدية

والكفارة ولام فى الهداية اذا التقى الصفان من المسلمين
والمشركين فقتل مسلم مسلما ظن انه مشرك فلا قود عليه
لانه خطا وعليه الكفارة هذا احد انواع الخطا وكذلك
عندنا ولذلك لما اختلف المسلمين على اليمان بن ابى حذيفة
رضى الله عنهما فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية
فى حال الاختلاط اما اذا كان فى صف المشركين
فلا دية لتكثير سوادهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كثر سواد قوم فهو منهم ويدل عليه قوله تعالى ان الذين
توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم
قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها وقوله **بغير علم** قال العلامة
البيضاوى متعلق بان تطاوهم اى تطاوهم وهم غير عالمين
بهم وضماير الغيبة للصنفين بتغليب الذكور وجواب
لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا
كراهة ان تهلكوا اناسا مومنين بين اظهر الكافرين

جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف
ايديكم عنهم لكن نجد عليه انه اذا كان بغير علم متعلقا بان
تطؤهم وهو بدل اشتمال من ضمير لم تعلموهم على ما سبق
يلزم فى الكلام التكرار لانه يصير المعنى حينئذ
لم تعلموا وطأهم بغير علم **لايقال** العلم الاول
متعلق بوطئهم والثانى بانفسهم كانه قال لم تعلموا وطأهم
غير عالمين بهم **لانا نقول** ليس المراد من نفى العلم
بوطئهم عدم تعلق العلم بذات الوطى من حيث هو بل من حيث
الاضافة اليهم من حيث كونهم مومنين لا من حيث ذاتهم
من غير ملاحظة وصف المومنين فدل قوله لم تعلموهم
ان تطؤهم على عدم العلم بهم من حيث كونهم مومنين
ولا شك ان المراد من قوله بغير علم عدم العلم بهم
من حيث انهم مومنون فيلزم التكرار فالواجب ان يكون
قوله ان تطؤهم بدل اشتمال من الرجال والنساء كما قدمناه
لا غير الا ان يتعلق بغير علم لغيره **فان قلت** هل يجوز

ان يتعلق بغيره **قلت** نعم يجوز ان يكون حالا من م
مفعول فتصيبكم والمعنى فيصيبكم منهم مكروه حال
كونكم غير عالمين كما يوجبه لعدم تعمدكم اهلاك المومنين
ولا شك ان المصيبة التى تصيب الانسان على غفلة
لعدم تعمد ما يوجبها اشد واصعب وهذا التوجيه
اقرب من حيث اللفظ لقربها لمتعلق وابلغ من حيث المعنى
لما اشير له وهذه الاية مشعرة بعلو شان اصحاب
الرسول وانهم نالوا من حفظ الله لهم من المعاصى
نهاية السول حتى ان الواحد منهم لو اتى معصية لم يكن
متعمدا لتلك المعصية كيف وهم شاهدوا شمس سماء
النبوة ومن حقق الله مجده وسموه صلى الله عليه وسلم
ليدخل الله فى رحمته من يشاء قال الزمخشرى عفا الله عنه
وان قلت قوله تعالى ليدخل الله فى رحمته من يشاء تعليل
لماذا **قلت** لما دلت عليه الاية وسيقت له من كف
الايدى عن اهل مكة والمنع عن قتلهم صونا لمن بين اظهرهم

من المومنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل
الله فى رحمته اى فى توفيقه لزيادة الخير والطاعة
مومنيهم او ليدخل فى الاسلام من رغب فيه من مشركيهم
قلت ويحتمل ان يراد به ما هو اعم من كل واحد
من المعنيين لعموم الرحمة وسعته ويؤيده كلمة من
وهى من الالفاظ العامة وقد علق به المشيئة
التى لا تقيد بالاسباب والعلل بل يفعل الله ما يشا
ويحكم ما يريد وقد سبقت رحمته غضبه وقد
دخل خلق عظيم فى الاسلام بتاخير العذاب عنهم
فاخراجهم من الغاية المذكورة لا تليق بحكمته البالغة
والله اعلم **لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما**
اى لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض بان صار المومنون
فريقا والكافرون فريقا وقرئ تزايلوا والتزايل
التباين روى عن على رضى الله عنه انه قال سالنا النبى صلى الله
عليه وسلم عن هذه الاية لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا

قال ثم المشركون من اجداد نبى الله ومن كان بعدهم فى
عصرهم ومن كان فى اصلابهم فهم مومنون فلو تزيل
المومنون عن اصلاب الكافرين لعذب الله تعالى
الكافرين عذابا اليما قال ابن العربى فقد قال
جماعة ان معناه لو تزيلوا عن بطون النسا واصلاب
الرجال وهذا ضعيف لان من فى صلب وبطن لا يوطا
ولا تصيب منه معرة **قلت** وهذا التضعيف ضعيف
لانه بهلاك من هو فى صلبه والتى هو فى بطنها يهلك هو
ايضا **فان قلت** كيف تلحق المعرة **قلت** اما فى نفس الامر
فبالاول او فى الظاهر وذلك بان قتل ذوات الاجنة
وظهور الجنين منها عار وقيل هذه الاية تدل على
مراعاة الكافرين فى حرمة المومنين نعم لو تترس الكافر
بالمومن ولعلنا انا نمتنع بارسال السهام على صفهم جاز
بشرط قصد الكافر اما اذا لم يتعين بان لم يخش
المسلمون الهزيمة لم يجز والمراد بالعذاب الاليم

الالم ووصف به مبالغة فقال المومنين للكافرين
او نزيد بالعذاب الاليم فى هذه الاية النازل من الله
تعالى بغير القتال فيكون المعنى لو ميزنا من قدرنا
وجوده مسلما من ذرية هؤلاء الكافرين لعذبنا
الكافرين لكنا لم نميز ونخرج الى الوجود من كان من ذريتهم
فلم نعذبهم ولذلك قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
هلا دعوت عليهم فقال لرجوان ياتى من اصلابهم من
يقول لا اله الا الله **اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية**
معقده باذكروا وظرف لعذبنا او صدوكم والثالث
ابعد من الثانى والثانى اقرب والتذكر للوقت يدخل
ضمنا **لا يقال** لو كان متعلق لعذبنا لكان ينبغى
ان يقول اذ جعلوا بدل الظاهر لانه لا معنى للظاهر
لانا نقول لا شبهة ان المقام مقام تسجيل واشهار
لعضائحهم ففى الظاهر ما ليس فى المضمر واما كون الثالث
بعيد فلبعد المتعلق عن المتعلق به فى اللفظ والحمية

المانع منا فى قتله القضية
عدم تميز المومنين م

56

تنشأ عن ارٮحية لسبب تذكر المناقب والشرف العنصرى
اما الاول فكقول الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك واما الثانى فكقول ابليس خلقتنى من نار وخلقته
من طين فلذلك اخذ اهل مكة ما اخذهم من الكبر الموقع
فى الهلكة بسبب اختلاط نسبهم بنسبه صلى الله عليه وسلم
فلما اعلى الله شانه عليهم بالنبوة حصل لهم من الانفة
الناشئة عن جعل الجهة التى حصل له صلى الله عليه وسلم
بها التعظيم فلذلك قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا
فى قلوبهم الحمية واضاف ذلك الجعل لهم دون ان يقول
اذ قامت كيفية الحمية بقلوبهم لانه يمنعهم من الدلايل
على تميزه عنهم ما لو تاملوا بعضه لما بقى عندهم منها
شئ فهم فى قوة دفعها بما ذكر فنزل ترك دفعها منزلة جعلها
فى قلوبهم وبين ان ذلك قام بحقيقة روحهم بقوله
فى قلوبهم فان القلب المراد به الروح كما قدمناه ثم لما
كانت الحمية تارة تكون محمودة كالحمية الدينية كما روى انه

صلى الله عليه وسلم ما كان يغضب لنفسه ولكن اذا انتهكت
حرمات الله وتارة تكون مذمومة كالقيام لهوى النفس
كما قال تعالى **حمية الجاهلية** وهى التى تخرج من الاذعان
للحق والانقياد للصدق وهى بدل من الاولى ومضمونها
على الذم وذلك انهم قالوا لو نقتل اباءنا واخواننا
وندخل لنا فى منازلنا واللات والعزى لا يدخلها
ابدا فكان ما ذكروه به يوجب الغضب منه صلى الله عليه وسلم
لكن الحق ثبته بما انزل عليه من السكينة فقال
فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
استيناف ملايم للمحل لانه فى قوة ان يسال فماذا كان من
الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان من المشركين ما كان
فبين ان الله انزل السكينة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى المؤمنين اى انزل الثبات والوقار وثبتهم
على الرضى والتسليم ولم يدخل فى قلوبهم شك ولا ريب
فى خبر الرسول صلى الله عليه وسلم ولا هو فيما اراهم رؤيته

ووعده من النصر **والزمهم كلمة التقوى** اى قول لا اله الا الله
او الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم
او الوفا بالعهد **فان قلت** الكلمة مفردة وما ذكر
ليس بمفرد **قلت** معلوم انها تطلق لغة على الجمل المفيدة
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها
الشاعر لبيد

الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وقال الله تعالى كلا انها كلمة هو قائلها اشارة الى قوله
رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت **وكانوا**
احق بها اى كان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
احق بكلمة التقوى من غيرهم ممن لم يلزمهم الله اياها
ككفار مكة **فان قلت** ان اريد بكلمة التقوى
الشهادة فما معنى قولكم ممن لم يلزمهم الله ككفار مكة
مع ان الله الزم من على وجه الارض كلمة الشهادة **قلت**
ليس المراد بالالزام هنا الامر بل المراد به التقدير والقضا

فالمعنى وقدر وقضى لمن كان مع محمد صلى الله عليه وسلم
بالدوام على الايمان والنطق بالشهادة عند الحاجة وهذا
تعليل لما دل عليه ما قبله من تخصيصه بكلمة التقوى دون
غيرهم لان الحكمة الالهية اقتضت تخصيص طايفة
بالهداية والاخرى بالضلالة فكانت قابلية المؤمنين
وحقايقهم في اتم ما يكون من تلقي ما افاضه الله من الايمان
وكانت الكفار في غاية البعد عن تلقي نور الرحمن كما قال تعالى
ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة
وكما قال تعالى مفيدا ان عدم قابليتهم لتلقي الايمان صم
بكم عمي الاية **واهلها** معطوف على خبر كان في القاموس
اهل لكذا استوجبه اياه للواحد والجمع اى كانوا
متاهلين لتلك الكلمة **فان قلت** اما كان ذكر الاحقية
مغن عن ذكر الاهلية **قلت** لا لان الاحقية ليست
بلازم للاهلية فان الشخص يستحق وصفا من الاوصاف
باعتبار عمل اتى به فبعروض ذلك العمل استحق ذلك الوصف

لا من ذاته فافاد الله بقوله واهلها انهم بالذات ايضا
استوجبوا التاهيل للايمان ولذلك اخره عن سابقه
اذ هو يرجع لما بالذات والاول لما بالعرض ولتقرير
الحق في محله واختيار الراجح على المرجوح **وكان الله**
بكل شيء عليما قال العلامة البيضاوي رضي الله عنه
فيعلم اهل كل شيء وييسره له انتهى ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
كل ميسر لما خلق له فيعلم تعالى كنه الحقائق ويظهر على
كل ذات ما يناسب حقيقتها ويعطيها ما يناسبها ويليق بها
ومنه قوله تعالى في الحديث القدسي هذه للجنة ولا ابالي
وهذه للنار ولا ابالي ثم لما ذكر الله انزال السكينة
على رسوله الى بيان ما كان من حمية الجاهلية ونوازع
عصبة الكفر وانه الزم المومنين كلمة التقوى بين تعالى
ان ما اظهره لرسوله صلى الله عليه وسلم في عالم النوم هو
الصدق الذي لا خلف فيه ليكون ذلك مذكرا للمومنين ورادا
على العصاة من المنافقين فقال تعالى **لقد صدق الله**

رسوله الرويا بالحق ليعلم ان الله تعالى قسم حال العبد
في الدنيا الى حالين يقظة ونوم وهو في الحالين بين
امرين اما صحيح واما سقيم فالصحة لها رويا تناسبها
والسقم له رويا تناسبه ورويا الصحيح تختلف
باختلاف الاوقات التي ترى فيها تلك الرويا والحالة
التي يكون عليها الرائي فمتى كان الانسان صحيحا وراى
رويا وقصها وعبرت وقعت لقوله صلى الله عليه وسلم
المنام على جناح طائر اذا قص وقع واما السقيم
فينظر الى علته وسببها فان كان سببها الدم يرى
من غلب على طبعه الالوان الحمر والملاهي والخمر
والاغذية الحلوة ومن كان الغالب على مزاجه الصفرا
فكثيرا ما يرى الصواعق والمعصفرات ومن كان الغالب
عليه البلغم فكثيرا ما يرى البحار والامطار والاهوال
ومن كان الغالب عليه السودا فكثيرا ما يرى الظلمات
والسواد والمخاوف والخراب يرى صاحبها الشموس والنار

واما اليبوسة فيرى تمزيق الثياب ونتف الشعر ومن غلب
عليه الامتلا فانه يرى كانه يحمل ما لا يطيق ومن غلبت عليه
العفونة فاكثر ما يرى الاشيا المتغيرة الرايحة وهذه
الاقسام جميعا اضغاث احلام لانها نشات عن عدم اعتدال
الطبيعة والمعتدل هو الصحيح واما اختلافها باختلاف
الاوقات فمن جهة صدق الرويا وذلك ان اخر الليل
يصفو فيه الدم فيرى الاشيا على ما رسم له ملك الرويا
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق الرويا
بالاسحار وقال اصدق الرويا ما كان بالنهار تعللا
ذلك بان الله خصه بالوحي بالنهار روي من قتيبة لانه
ورد ان رويا الانبيا وحي ولقوله صلى الله عليه وسلم
ذهبت النبوة وبقيت المبشرات الرويا الصالحة يراها
الرجل الصالح وترى له وهذه اختلافها باختلاف
الاوقات واصل الرويا قال فيه نبي الله دانيال الارواح
ليعرج بها الى السما حتى يوقف بها بين يدي رب العزة

فيوذن لها بالسجود فما كان طاهرا سجد تحت العرش وسلى
في منامه وما كان غير طاهر سجد قاصيا فلذلك يستحب
للرجل ان لا ينام الا على طهارة وقال معبروا المسلمين
الرويا يراها الانسان بالروح ويفهمها بالقلب
ومستقر الروح في نقطعات الدم في القلب اي مستقر
تعلقاته ومستقر العقل في ذروة الدماغ
والعقل والروح متعلقان بالنفس فما دام الانسان
حيا امتد روحه مثل السراج فيرى بنوره وقضى الله
ما يريه ملك الرويا وذهابه ورجوعه مثل الشمس
اذا غطاها السحاب وانكشف عنها فاذا عادت الحواس
بالاستيقاظ تذكر الروح ما اراه ملك الرويا وما
خيل لها كرؤية العين وورد في السنة الملوك الموكلون
بالرويا صديقون ومن شحمة اذن الواحد الى منكبه
مسيرة سبعماية عام فيريهم بعضا الله علم غيبه في اللوح
المحفوظ ما هو كاين من خير وشر لا يشتبه عليه شي من ذلك

ومثل ذلك الملك كمثل الشمس اذا وقع ضوؤها على شئ يبصر
ذلك الشئ به وكذلك يعرفك هذا الملك اسما كل شئ
ويبشرك ويحذرك ثم ان الملك يقدم رؤيا الشر
ويؤخر رؤيا الخير **قلت** وفايدة ذلك انه
اذا راى الشر استعاذ منه وربما دفعه بصدقة
واذا لم يندفع يكون ملطوفا به فيه وتاخير رؤيا
الخير لانه اذا اخبر بها فرح وان تاخرت فانه ينتظرها
على حد قول القايل عدينى بوصل وامطلى بنجازه
هذا بعض من اقسام الرؤيا ويؤخذ منه التعبير فيما
نحن بصدده من رؤياه صلى الله عليه وسلم ورؤيا ساير
الانبيا يحتمل انها بوحى من الملك الذى يضرب
الامثال او يحتمل انه بغيره من الملايكة واياما كان
فليست رؤيا الانبيا كغيرهم فالانكشاف لهم اقوى لسلامة
طبايعهم ومحامرهم من الله ولذلك كان من الخليل ما كان
ولما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل مكة

وطاف بالبيت وانه سعى وقصر توجه صلى الله عليه وسلم
باصحابه الى مكة فكان ما كان وانزل الله عليه لقد
صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وتاخيرها وبليها
لقابل امتحانا للمومنين كما قدمنا واللام فى لقد موطئة
للقسم موكدة لمضمون جملة صدق والتقدير والله
لقد صدق لكن يفهم من كلام بعض المحققين ان اللام
الموطئة تختص بما اذا كان المقسم عليه جواب شرط
مستقبل وقبل ذلك الشرط قسم نحو قولك والله ان
اتيتنى لاتيتك وتسمى موطئة اى ممهدة ومعينة
والصدق بالكسر والفتح ضد الكذب او بالفتح
مصدر وبالكسر اسم يقال صدق فى الحديث وصدق
فلانا الحديث والرؤيا مصدر كالبشرى الا انه لما
صار اسما للمتخيل فى المنام جرى مجرى الاسما وقال
صاحب الكشاف الرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة
بما كان منها فى المنام دون اليقظة فلا جرم فرق

بينهما تجرى فى الثابت وبالحق يجوز ان يكون حالا من
الرؤيا اى صدق فى الرؤيا ملتبسة بالحق على معنى انها
لم تكن اضغاث احلام والحق ضد الباطل والاضغاث
باطل لا وجود لها بل مجرد وهم وان يكون صفة
مصدر محذوف وان يكون قسما باسم الله تعالى
او نقيض الباطل وجوابه **لتدخلن المسجد الحرام**
وعلى الاولين جواب قسم محذوف ثم اخذ الله يعلم عباده
انهم لا يجزمون فى امر الا بمشيئة بعيدا عن امن المكر
ما امكن فقال تعالى **ان شاء الله** جملة شرطية انشائية
متعلقة بقوله صدق مفيدة مضمونها جوابها محذوف
لدلالة الجملة الاولى عليه ومن هنا اى من جهة انها
تقيد معنى الجملة السابقة استدل بعضهم على جواز تعليق
الايمان بالمشية لظهور انه لو اعتبر المعلق فى المستقبل
لما ضاع الاستدلال فانه من المعلوم انه لا يعلم
المستقبل الا الله وما الكلام الا فى الماضى والحال والجملة

السابقة انت خبرها انها بصيغة الماضى لكن لنا ان نقول
الصيغة السابقة وان كانت بصورة الماضى الا انها
مراد بها الوعد بحصول شئ مستقبل وانما عدل
عن المضارع لما قدمناه من ارادة تحقق الوقوع
لكن يؤخذ من هذا ان قران المشية بالحكم اللازم
امر شايع وان صرحنا بان المراد بما حكى بالماضى
الاستقبال لان فى وضع الماضى موضع المضارع
الايذان بتحقق الوقوع كيف وقد اقترن بالتاكيد
بالقسم فى لقد صدق الله وما يفهم ايضا من معنى الصدق
على ان ادوات الشك منه تعالى ليست على بابها
بل هو لمحض القطع فان جاء عليه الا لاهى محال عليه
ان يقبل الشك ومنه قول امامنا الشافعى رضى الله عنه
انا مؤمن ان شاء الله فانه حين قوله انا مؤمن لو كان
شاكا ما كان مؤمنا بل هو عند قولها قاطع بالايمان
وبما قدمناه علم ان اقتران القطع بالمشية لا يقتضى الشك

اصلا ومن هنا قال الوالد وبانى اختلف اصحابنا في قوله ان شا الله
هل هو استثنا يمنع من انعقاد اليمين او لا وظاهر المذهب
الله استثنا وجزم الرافعي به في كتاب الطلاق
وقال امام الحرمين لا يبعد عن اللغة تسمية كل تعليق
استثناء واذا قلنا بانه استثنا فهل هو حقيقة او مجاز
وصرح بانه مجاز فقال سماه ائمتنا استثنا تجوزا الى ان
قال لكن سماه النبي استثناء تجوزا فقال من اعتق او
طلق ثم استثنى فله وهو عام في قوله ان شا الله قال
الاستاذ الاعظم الوالد رضي الله عنه **قلت** وانت
خبير بان النبي صلى الله عليه وسلم ليس في كلامه
الشريف هنا تعرض لتسمية ان شا الله استثنا البتة
فيجب من الامام قوله لكن الى اخره ودعوى ان كلامه
الشريف بينا دل ان شا الله على تسميتها استثنا
في محل النزاع فليتامل انتهى **قلت** واما ما كان
فقد اختلف العلما رضي الله عنهم في قول القايل انا

مومن ان شا الله فمنهم من قال بعدم الجواز ونقل ذلك
عن الامام الاعظم ابي حنيفة رضي الله عنه وجماعة
وعللوه بانه شك والشك في الايمان كفر ومنهم من
قال بالوجوب وجوز ذلك السعد رضي الله عنه
نظرا الى الموافاة عند الخاتمة وهي مجهولة م
قلت هذا من قسم المستقبل وليس الكلام
فيه ومنهم من قال بالجواز وهو قول اكثر السلف
رضي الله عنهم وحكي عن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما
وعليه الشافعي ومالك واحمد وسفيان والثوري
واهل الحديث وقال مما قال به اصحابنا الامام
ابو منصور الماتريدي من الحنفية والكل
متفقون كما سبق الاشارة اليه على ان هذه الاداة
ليس الاتيان بها للشك والتردد في الماضي والحال
ولا في الحال ولا في الاستقبال وذكروا لها محامل
من احسنها رجاء دوام ذلك الى الخاتمة وليس هذا

ثم ما يقدح في تصحيح ايمان العبد ولا في وسمه به بل كانه يقول
لا ادري ما يراد بي بعد فجعل ذلك وسيلة الى رجاء السلامة
من المكروه ما امكن مع تصميمه على بقائه على الايمان
فعلم ان مراد من منع اذا فهم الشك ومراد من اجاز
اذا اراد التبرك وترجي الموافاة مع التصميم
فالخلف لفظي اذ من المعلوم انها بجوهرها لا تدل
على الشك وانما هو من مدلولاتها فمنع الامام الاعظم
لمن اراد بها الشك والمدعى هنا الاتيان بها مع
اليقين الجازم هذا ما يظهر لي في هذا المقام الذي
طال ما اصطكت فيه الاقلام والله المرجو
لحسن الختام وقوله **آمنين** حال من فاعل لتدخلن
والمعنى آمنين من العدو ومن العذاب يوم القيامة او
من كل ما يخاف وهو اولى لحذف المعمول فكانه جعل الجزاء على
الصبر على بعض المخاوف الامن الكلي وهو معنى حسن وقوله
محلقين رؤوسكم ومقصرين حالان اخران من الضمير

المتقدم فهي احوال مترادفة الا انهما حالان منتظران كما
في قوله تعالى فادخلوها خالدين او على التوسعة
في زمان الحال بان يشمل ما هو قريب منه والمراد محلق
بعض ومقصر بعض والحلق افضل من التقصير عن ابن
عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله
قال رحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله قال
رحم الله المحلقين والمقصرين واحدهما عندنا ركن
وعند الحنفية واجب لانه اخبر بانهم يدخلون محلقين
ومقصرين فلا بد من الوجوب ليكون حاملا ليوجد
المخبر به وهذا التأويل ظني فليس بقطعي فعلم انه واجب
عندهم فقط ثم اكد الله الامن السابق بقوله **لا تخافون**
فهي حال مؤكدة او استيناف والاول يحتمل ان يكون حالا
من الضمير فتكون احوالا مترادفة او من ضمير محلقين
ومقصرين فتكون من الاحوال المتداخلة وفي ذكر الحلق

والتقصير اشارة الى الترتيب لاداء المناسك من اولها
الى آخرها اما في العمرة فظاهر واما في الحج فالحلق انما يقع
بعد معظم الاركان ويأمن بعد ذلك فوت الحج في ذلك
العام لسعة وقت الطواف وفي ازالة الشعر بالحلق والتقصير
الى محو الذنوب وتطهير الباطن والظاهر والفوز
باستغراق القلب في مشاهدة امتثال امر الرب وهذا
هو المقصد الاعظم والفيض المعظم فالمراد
لا تخافون بعد الحلق من عذاب الله كما قال تعالى الا ان
اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون **فان قلت**
هذا وعد صادق بامنهم وعدم خوفهم فهل مع هذا الوعد
يجب عليهم الخوف لئلا يدخلوا في قوله تعالى فلا يأمن مكر الله
الا القوم الخاسرون **قلت** نعم اذ المراد البشارة بان
لهم الامن من عند الله ولا يلزم من ذلك عدم الخوف
خشية من ان تكون معلقة على شئ كما قيل لعمر رضي الله عنه
ما هذه الخشية والرسول قطع لك بالجنة قال اخشى

ان يكون معلقا وكما في قوله تعالى للملائكة وهم في غاية
الخوف **منه** ما هذا وقد عصمتكم قالوا الا نأمن مكرك
قال هكذا فكونوا فعلم انه لا تلازم بين التأمين وعدم
والخوف لما ذكرنا **فعلم ما لم تعلموا** اى علم الله ما لم يعلم
المؤمنون من الحكمة البالغة في تاخير دخول المسجد
الحرام وفتح مكة الى غير ذلك قال العلامة الزمخشري
من الحكمة والصواب في تاخير فتح مكة الى العام
القابل وافرد علمه انه لم يكن فتح مكة العام القابل
انما كان بعد ذلك باكثر من عام لان مكة فتحت سنة
ثمان من الهجرة وكان خروجه من المدينة عام الحديبية
سنة ست من الهجرة **روى** انه صلى الله عليه وسلم لما رجع
مضى الى خيبر واخذ من العدة والقوة اضعاف ما كان
فيه من ذلك العام واقبل الى مكة على هيبة وقوة
وعزة باضعاف ذلك وقيل علم ان بمكة رجالا مؤمنين
ونساء مؤمنات والاظهر انه من جملة ما يدخل في قوله تعالى

ما لم تعلموا لانه المراد فقط **فان قلت** اصل الفا
ان تدل على الترتيب الزمانى بل هى للترتيب الذكرى فهل
هنا كذلك ام لا **قلت** ليست للترتيب الزمانى
بل هى للترتيب الذكرى كما فى قوله تعالى نتبوأ من الجنة
حيث نشاء فنعم اجر العاملين ثم لما اشار الله تعالى
الى الحكمة المعلومة من القرينة المقامية
فى قوله لقد صدق الله رسوله لان العدول عن تصديقه
بالفعل الى القول يتضمن ان التاخير لحكمة بشار
اليها بقوله فعلم ما لم تعلموا الذى من جملة قوله **فجعل من دون**
ذلك فتحا قريبا فانه تعالى لما ذكر ان له فى تاخير موجب الرؤيا
حكمة تترقب وازمان عناية من رسوله تتعرف ناسا بذكر
بعد ذلك ما يستروح اليه المؤمنون ليكون ذلك مسليا
الى حصول المرام وقال فى القاموس دون بالضم نقيض
فوق ويكون ظرفا بمعنى امام ووراء وفوق وبمعنى غير
ومن الاخير ليس فيما دون خمس اواق صدقة اى فى غير خمس اواق

انتهى وهنا تستعمل بمعنى امام ووراء فعلى الاول من قبل
دخولكم المسجد او فتح مكة واختار هذا الامام البيضاوى
والثانى من بعده وبار رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد
من الفتح القريب فتح خيبر وقيل فتح مكة وقيل
صلح الحديبية وتقدم توجيه تسميته فتحا وايضا سبب
ذلك الصلح وقعت الخلطة والمناظرة بين المسلمين والكفار
حتى دخل فى الاسلام بسبب ذلك مثل من امن قبل
او اكثر يدل على ذلك انهم كانوا عام الحديبية الفا
واربعمائة وكانوا فى سنة ثمان عشرة الاف واعلم
ان لفظ جعل من الافعال العامة يجى على ثلاثة اوجه
بمعنى صار وطفق فلا يتعدى وبمعنى اوجد
فيتعدى لمفعول واحد كقوله تعالى وجعل
الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى الى مفعولين
والظاهر انه هنا بمعنى الاخير ومفعوله الاول
فتحا والثانى الظرف تقدم لاجل ختم الكلام بقوله

فتحا قريبا ثم اخذ الله يستظهر على تحقيق حصول ذلك
الوعد بانه المرسل لذلك الرسول اللازم منه
نصرته له ولاتباعه فان مخالفة الرسول فيما ارسل به
مخالفة لمرسله فقال تعالى **هو الذي ارسل رسوله**
ففيه تحقيق لما وعد به غير خاف وان هذا الرسول
لا يحتاج الى شهادة احد فانه يشهد برسالته الاحد
كما في قوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك ثم عبر
عن الذات المقدس بالضمير جريا على الظاهر مجرا عنه
بالموصول اشارة الى انه الموصل لرسوله جميع المآرب
المبلغ له ما يريد من المطالب مع ما في مرجع الضمير
من التهويل الظاهر من الصلة والمراد برسوله هو محمد
صلى الله عليه وسلم فالاضافة عهدية ثم بين ما يلبسه
فقال **بالهدى** اي ملتبسا به او بسببه او لاجله
فعلى الاول ظرف مستقر حال من رسوله وتلبسه به
باعتبار ان الدلالة على ما يوصل الى الحق وصف قائم به

وعلى الثاني والثالث ظرف لغو متعلق بارسل والبا
للسببية لكن على وجهين احدهما ان مدخول
البا باعتبار وجوده في الخارج علة لما قبلها وهو
المعنى الثاني فان الهداية من صفات الله تعالى
لانه الهادي ووجوده في نفس الامر اقتضى ارسال
الرسول **فان قلت** الهداية من الصفات الفعلية
وتحققها مع تحقق الاهتدا والاقتدا بعد الرسالة
فكيف يتصور تقدمه على الارسال **فالجواب**
من وجهين احدهما ان الحادث المقرون بالاهتدا
انما هو التعلق واما نفس الهداية القائمة بذات
القديم فهي قديمة وثانيهما ان مدخول البا باعتبار
وجوده العلمي سبب لما قبلها وباعتبار وجوده الخارجي
متاخر عنه كالربح متاخر عن التجارة وهو سبب لها
ويقال له العلة الغائية وقد عرفت ان افعال الله
تعالى لا تعلل اي لا يفعل لاجل العلة سوا كانت عائدة

او غيرها فما ذكر وان كان على صورة العلة فهو لتنبيه
الفكر للحكم والمصالح وقوله **ودين الحق** المراد
به دين الاسلام قال الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
ليظهره على الدين كله ليعلي شانه على ما يدان به
لانه الحق حينئذ وما سواه في زمانه باطل سوا كان حقا
قبل ولا لانه نسخ ساير الاديان او بانه سلط المومنين
على الكافرين اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون
والدين بالكسر الملة من دان له اذا اطاعه سميت به
لكونها مطاعة لاهلها ويجوز ان يكون من دانه
بمعنى جازاه لان اهل كل دين مجزيون به وفي م
تفسير القرطبي الدين اسم بمعنى المصدر باعتبار
الاصل والا فمعناه الملة وهي الطريقة المسلوكة
وما عم رسالة احد ابتدا الانبيا محمد رسول الله م
صلى الله عليه وسلم واما نوح فلطول عمره واستيصاله
من على وجه البسيطة ولقد حقق اظهار دين الاسلام

فانك لاترى دينا الا والاسلام اعلى منه واظهر وقيل
يكون ذلك بانزال عيسى حين لا يبقى على وجه الارض
كافر وقيل بالحجج والبراهين **وكفى بالله شهيدا**
على رسالة نبيه او على ما وعد به من النصر واظهار الدين
لان الكفار ابوا وصفه بالرسالة في كتاب عهد الحديبية
وهو تمييز عن الفاعل اي كفى الله شاهدا به وقال الزجاج
دخلت البا لتضمين كفى معنى اكتفى وحسنه ابن مالك
وصحح ذلك بقوله اتقى الله امرؤ فعل خيرا يثب اي ليتق الله
وليفعل بدليل جزم يثب والمعنى اكتف بالله فالخبر
بمعنى الامر وقال ابن السراج الفاعل ضمير الاكتفا
اي كفى الاكتفا بالله حال كونه شهيدا وصححه قوله موفق
على جواز تعلق الجار بضمير المصدر وهو قول
الفارسي اجاز مروري بزيد حسن وهو بعمرو قبيح واجاز
الكوفيون اعماله في الظرف وغيره ومنع جمهور البصريين
اعماله مطلقا ثم لما كان في قوله هو الذي ارسل رسوله

نوع ابهام وان كانت القرينة المقامية ترشد الى انه محمد
لكن في الاتيان بالعلمية من حضور ذاته باوصاف كماله
ما ليس في العلم به من القرائن فقال **محمد رسول الله**
استيناف بياني في هذا المحل للرسول المشهود له سواء
اعتبر خبرا للمبتدا المحذوف او مبتدا خبره رسول الله وعلى
الاول فيكون رسول الله صفة لمحمد ويجوز ان يكون قوله
محمد [مبتدا] **والذين معه** معطوف على قوله محمد رسول الله
والخبر قوله **اشداء على الكفار رحماء بينهم** اذ وصف
الشدة والرحمة وجد في الجميع اما في حق الرسول فكما في قوله
واغلظ عليهم وقال تعالى بالمومنين رؤف رحيم
وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
فان قلت اذا وصف بالشدة على الكفار فاي
ملايمة ومناسبة بين هذا وقوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين **قلت** لان جهة رحمته بالعالمين
لا تنافي الشدة على الكفار مما يجرهم الى الانقياد الى

امر الله تعالى فهي رحمة بهم ايضا على حد قوله عليه السلام
عجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل واما
وصف المومنين بالشدة على الكافرين فكما في قوله تعالى
اذلة على المومنين اعزة على الكافرين وناهيك ما كانوا
عليه من الشدة على الكافرين انهم كانوا يحترزون من ثيابهم
ان تلصق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم مع ان المومن
منهم لا يجد مومنا الا صافحه وعانقه ولا يلزم للمومنين
ان يجروا على هذه الشدة على الكافرين والرحمة
بالمومنين لمدح الله من جرى على ذلك الا ان تقتضي
مصلحة عامة تعظيمهم كتعظيم بعض رسل ملوك
الكفار لاجل عدم اضرارهم بالاسارى ببلادهم ورجاء
انقيادهم لطاعة الامام فيجوز المقدار الذي يحصل
هذا القدر بشرط هذه النية وهي ان لا يقصد تعظيم
الكافر لذاته ومن هنا ورد في السنة انه صلى الله عليه
وسلم بسط بعض ردائه لرسول بعض ملوك الكفار

وقال اذا جاءكم كريم قوم فاكرموه **فان قلت** لم ذكر
على في جانب الشدة دون الرحمة **قلت** لما فيها من الاستعلا
والايذان بالقوة والغلبة وللاشعار بان رحمة
المؤمن للمؤمن ليس على وجه الاستعلاء بل على وجه التواضع
قال تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقرا الحسن
اشداء على الكفار رحماء بينهم بالنصب على المدح او على
الحال واصل بين يكون مصدرا بمعنى الفراق فيقدر
جلست بينكما اى مكان فراقكما فالمعنى انه لا دخل
بين اجسامهم الا التراحم **تراهم** خطاب عام كما في قوله
تعالى ولو ترى اذ المجرمون وكما في قوله تعالى لو اطلعت
عليهم اى لو رايتها من يتاتى منه الرؤية **ركعا**
جمع راكع و**سجدا** جمع ساجد والمعنى تراهم راكعين
ساجدين اى متى اردت النظر اليهم لا تجدهم الا على هذه
الحالة الكاملة مبالغة في قيامهم بامر ربهم والجملة خبر
المبتدا على تقدير نصب اشداء وخبر بعد خبر على تقدير رفعه

جلست

أو استيناف لبيان تعاملهم فيما بينهم فان الصلاة اعظم
العبادات البدنية التي بها يظهر مزيد انقياد العبد لربه
اذ فيها اشتغال الجوارح كلها بالعبادة والقلب
بالخشوع واللسان بالمناجاة وخص الركوع والسجود
بالذكر لما انهما اشتملا على خشوع لا يوجد في غيرهما
ولا يخفى ما في المضارع هنا من الاستمرار التجددي اى تراهم دائما
على هذه الصفة الكاملة ثم لما بين الله حالهم في العبادة
ومداومتهم على الطاعة بين تعالى ما عبدوا من اجله فقال تعالى
يبتغون فضلا من الله ورضوانا قال العلامة البيضاوي
الثواب والرضى والابتغاء هو الطلب والفضل هو
ضد النقص والمعنى يطلبون الزيادة بكمال حقايقهم حتى
يصلوا الى مرتبة الرضى واعلم ان الناس في عبادتهم
على اقسام فمنهم من عبد لاجل الثواب ومنهم من عبد
للخوف من العقاب ومنهم من عبد لانه تعالى المستحق للعبادة
طالبا لرضاه فالاولان بئست عبادتهما وبخ للاخير

وهذه الرتبة هي مقام العبد الكامل الحر من الاغيار الناظر
اليه به في ساير الادوار **فان قلت** كيف تقول فيمن عبده
رجا الجنة وللخوف من النار حيث عبادتهما مع الله تعالى
قال يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب **قلت** المذموم
من عبده من حيث الثواب فقط اما من عبده من حيث انه
المعبود ورجا منه الثواب فجدير بان يثنى عليه بل يدعى
للعبد ان يرجوا ما وعده به سيده ويخاف مما خوفه منه
وورد في السنة من لم يسال الله يغضب عليه وقال تعالى
ادعوني استجب لكم ثم بين تعالى ان الظاهر عنوان
الباطن فاذا اشرق نور الرب على القلب ظهر اثره على الظاهر
فقال تعالى **سيماهم في وجوههم من اثر السجود** وفيه وجهان
احدهما ان ذلك يوم القيامة كما قال تعالى يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه وقال تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم
وثانيهما ان ذلك يقع في الدنيا وفيه وجهان احدهما
ما يظهر في الحياة بسبب كثرة السجود والثاني ما يظهره الله

في وجوه الساجدين من الحسن لا سيما من صلاة الليل فانه ورد
في السنة انها تحسن الوجه ثم بين تعالى انه ضرب لهم في كتبه
السابقة الامثال فقال تعالى **ذلك مثلهم** اشارة الى الوصف
المذكور او اشارة مبهمة يفسرها كزرع واسم الاشارة مبتدا
ومثلهم خبره ومعناه وصفهم العجيب الشان الجاري في غرابته
مثله مجرى الامثال **وفي التوراة** حال من مثلهم والعامل
فيه معنى الاشارة **ومثلهم في الانجيل** عطف على مثلهم الاول
وقوله **كزرع اخرج شطأه** الى اخره تمثيل مستانف
اي هم كزرع والمراد تشبيه ما انطوت عليه قلوبهم من
الايمان لا الذات الجسدية وانما عدل عن ذكر الايمان
الى ذكر تشبيه ذواتهم للايذان بان الايمان استقر في جميع
جزئيات قلوبهم ولا يزال ينمو كما ينمو الزرع بما ينزله الله على
رسوله ضمن الايات والاخبار والوعد والوعيد الملزمات
بالتكاليف والاحكام فان الحاصل للعبد اولا هو اصل
التوحيد ثم اذا اتى بالطاعات البدنية كالصلاة والصيام

والنفسية كالتفكر في آيات الله وفي مصنوعاته وفي
عجائب مخلوقاته ازداد يقينه وايمانه شيئا فشيئا
ضرورة انه لا يمكن حصول ذلك دفعة واحدة كحال
الزرع فان الايمان كالبذر فاذا استقى البذر اولا ثم
لا يزال ينمو الى ان يحصل المراد منه وكذلك الايمان
لا يزال ينمو بالتقرب الى الله بالعبادات الى ان يشرق في
القلب نور الرب فيصل الى قوله صلى الله عليه وسلم
حكاية عن ربه افضل ما تقرب الي به المتقربون اداء
ما افترضته عليهم ثم لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ويده التي يبطش بها فهذا من عين قوله
تعالى كزرع اخرج شطأه الى اخره ويدل على مثله الحال
ونمو الايمان نمو الزرع قوله عليه السلام جالسوا العلماء
وزاحموهم بالركب فان الله يحيي القلوب بوابل
الحكمة كما يحيي الارض بوابل المطر واحيا الارض

72

بنماء زرعها كما هو ظاهر فاول بدء الزرع كاصل الايمان
وذلك قوله كزرع اخرج شطأه اي فراخه والمرتبة
الثانية قوة الايمان بالدليل والبرهان وذلك قوله
فآزره اي قواه وكذلك الزرع يقوى بعد نموه
بالحرارة الارضية وكذلك الايمان بالحرارة الشوقية
والمرتبة الثانية الاشارة الى انه زادت كميته
كما يزيد الزرع بعد بدوه وذلك قوله فاستغلظ
والمرتبة الرابعة هي اعتداله في الاحوال
ومنه قوله فاستوى على سوقه جمع ساق وهو
القضيب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن
كخامة الزرع ثم لا شبهة ان من كانت هذه صفته
فانه يعجب الزراع وكذلك حال المؤمن
يتبع من الله الموقع العظيم ومن هنا قال صلى الله
عليه وسلم فاني مباه بكم الامم يوم القيامة
ثم بين السبب المقتضي لهذا التشبيه المحير للافكار

الراقي للبلاغة الى مادونه الفلك الدوار بان
ذلك **ليغيظ بهم الكفار** وهو متعلق بمحذوف
دل عليه ما قبله ثم بين الله تعالى حصول أمر
يقتضي زيادة غيظ الكفار بقوله **وعد الله الذين**
امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما
فان الكفار لما سمعوا الامثال الدالة على علو شان
المومنين وكمال رسوخ اليقين في قلوب
الموحدين غاظهم فزادهم غيظا بحصول المغفرة
لذنوب المومنين والاجر بالجنة للموحدين
اللهم كما اهلت هذا العبد لبيان
معاني كتابك واظهرت على اسلة لسانه بيان
خطابك اعف ما قصر في فهمه فكر مخلوق
من مخلوقاتك ومصنوع من مصنوعاتك
وايد سلطان الاسلام وظلك السابغ على الانام
أمير المومنين وسيد خلفا الموحدين سلطان

أهل السنة والجماعة الذي جعلت به للدين
عزة وان تقاعد امير المومنين مراد ولهم من النعم
ما لا تحصيه الاعداد فانا المسؤول من حيث
رحمتك والا فمن يتاهل لسؤلك لولا ما سبقت
به ارادتك وان تصلي وتسلم على نور الانوار
وسر الاسرار محمد النبي المختار صلاة وسلاما
دايمين الى يوم القرار **قال المولف** رضي الله
تعالى عنه تم تاليفها على يد هذا العبد الضعيف
الذي حققت له بهذه المقدمة من عنايتك
التشريف محمد ابي السرور بن محمد بن ابي الحسن
الصديقي سبط ال الحسن وذلك في يوم الاربعا
العشرين من جمادى الاخرة سنة ثمان وتسعين وتسعماية
احسن الله عاقبتها في خير وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم